وغارت النجوم

وغارت النجوم

م/محمد نجيب مطر

مبدعون
للنشر والتوزيع
نحو أدب راقٍ

المقدمة

غارت بعض قناديل الحضارة المصرية والعربية واحدًا تلو الآخر، وأصبحت أثرًا بعد عين، وصارت مجرد حكايات تروى عن شموس عربية، سكنت وادي النيل، كادت أن تبزغ مع الفجر الجديد لتملأ الحياة نورًا وبركة.

أحس بدفئها المتربص، فأصر على حجبها عن الوادي الخصيب، فقطف زهورها في شبابها الغض ليقتل كل أحلامها في حضارة تعيد للوداي رونقه، وتضمن للعرب الريادة.

ورغم غياب تلك الشموس النيرة تحت التراب، إلا أنها أصبحت قدوة لأبناء الوطن ودليلاً على تفوق أبناء الوادي، وقدرتهم على نحت الحضارة لو أتيحت لهم الفرص ووفرت لهم الإمكانيات ليجعلوا من بلادهم جنة وارفة.

استشهدوا بسبب حلمهم في وطن مستقل، يملك أدوات المستقبل، فيه الكل سواسية، يسوده العدل، يتميز فيه المتفوق، تعلو فيه قيمة العلم كأداة للتغيير واستشراف المستقبل.

إلى كل هؤلاء ... رحمكم الله وأسكنكم فسيح جناته.

خبير الذرة

دخل محاضر جديد طويل القامة، شامخ الأنف، مرفوع الرأس، ترى في عينيه فطنة وعلى وجنتيه سمرة النيل الجميل، عرف نفسه بأنه الدكتور «يحيى المشد» المولود في بنها، والذي تلقى علومه الأولية في مدارس طنطا.

أكمل دراسته الجامعية في كلية الهندسة جامعة الإسكندرية، تخرج في قسم الكهرباء، تم اختياره لبعثة دراسية إلى لندن ولكنها وبسبب العدوان الثلاثي تحولت إلى موسكو.

أشرف على العديد من رسائل الدكتوراة، ونُشر باسمه خمسون بحثًا علميًا تركزت معظمها على تصميم المفاعلات النووية ومجال التحكم فيها، عمل في الترويج عدة سنوات تلقى بعدها عروض لمنحه الجنسية النرويجية.

وفي أحد الندوات المفتوحة تكلم عن القضية الفلسطينية، وكانت تلك الخطبة سببًا في بداية تعقب خطواته، زادت المضايقات له ولأسرته فقرر العودة إلى القاهرة للعمل في كلية الهندسة بالإسكندرية.

بعد حضوره مؤتمرًا علميًا في بغداد طلبت الجامعة التكنولوجية إعارته لمدة أربع سنوات، بعدها تمسك به المسئولون فلم يطلب

سوى العمل في مؤسسة الطاقة النووية العراقية .

ارتسم الاهتمام الشديد على وجه «ياسر» وهو يرى أستاذه الذي قرأ معظم أبحاثه ومقالاته في الجامعة، والذي يكن له كل الاحترام والتبجيل، ما أشد تواضعه وهو يحكي عن نفسه! وما أروعه وهو يتحدث عن الذرة والطاقة النووية!

تحسب أنه عاشق يذوب عشقًا في حبيبته، يتحدث عن نواة الذرة بلغة عربية بسيطة ومفهومه، تحس معها أنه يجلس داخل النواة، ويشهد انقسامها وتفاعلاتها، وينقل إليك أخبار ما يراه أولاً بأول.

إنه من الشخصيات الأسطورية التي لا تملك إلا أن تحبها وتعشق تفانيها لخدمة تخصصها، لم يكن الدكتور المشد من النوعية المتقوقعة داخل علمه، بل كان يحمل في صدره هموم أمته، وكان يرى في التخلف التقني في الطاقة النووية وصمة عار في جبين مصر والأمة العربية.

رأى الدكتور المشد الفرصة سانحة لتحقيق الحلم بامتلاك التقنية النووية في العراق، فالعراق تمتلك ثروة طبيعية من الماء ومن النفط، وتمتلك الدولة الموارد المادية اللازمة للإنفاق على هذا الحلم المكلف، وتتوفر لديها الإرادة السياسية للدخول في هذا التحدي.

تلك الأفكار التي كانت تراود ياسر أثناء استمتاعه بمحاضرة الدكتور المشد متابعة المحب للحبيب.

رفع أحد المتدربين يده طالبًا الكلمة، ولما أشار الدكتور المشد له بالموافقة سأله في صرامة وكانت لهجته تشير إلى أنه ربما يكون فلسطينيًا.

الفلسطيني: أنت تعلم أن الغرب وإسرائيل لن تتوانى عن التخلص منك كما تخلصت من غيرك، وأنهم فعلوها من قبل وسيفعلونها معك وربما مع معاونيك ومعنا.

ابتسم الدكتور المشد وقال في ثقة: كرب متوقع أو مصيبة مؤكدة، هل تؤثر فينا التهديدات إلى الدرجة التي تجعلنا نجلس في بيوتنا كالنساء؟ رغم أن النساء لا يجلسن الآن في بيوتهن، وابتسم فضحكت النساء الموجودات في المحاضرة.

هل نجلس في ركن بعيد ونضع أيدينا على خدودنا ونبكي من قضى نحبه؟ ونبكي على من ينتظر؟ أظن أن العربي بطبيعته لا يرضى بالذل ولو كانت حياته ثمنًا لرفض الذل.

سندخل الدائرة المحرمة، ومتأكدون أننا لن نخرج منها سالمين، ولكن هل يعني ذلك أن حياتنا رهنٌ لهم؟

إن حياتنا بيد خالقنا وإن نجحوا وانتهينا فذلك قدر الله، و لا راد لقضائه، وهم مجرد أدوات لتنفيذ مشيئته.

يكفينا أن نكون النموذج العربي الذي يمكن أن يكون حافزًا للآخرين، الأمة كبيرة ومليئة بالإمكانيات المادية والعلمية والعسكرية ولن تخيفها التهديدات.

سنحاول أن نتقدم وهم سيحاولون أن يوقفونا، وسينجح منا من لديه الإصرار والقدرة على التحمل.

رفع كمال يده فأعطاه الدكتور الكلمة:

لقد نالوا من سميرة موسى رغم أنها لم تتكلم عن قنبلة نووية، إنها فقط تحدثت أو توصلت إلى بعض الحقائق النووية، لم تكن تشكل خطورة على أحد .

الدكتور المشد: المشكلة بالنسبة لهم ليست في الطاقة النووية،وإنما هي في وصول العرب إلى التقنية في أي مجال وفي أي علم حتى لو كان الطب، أي نوع من التقنية يبزغ فيها فجر العرب يمثل بالنسبة إليهم تهديدًا.

إن وأد الحضارة العربية هدفهم، وأي محاولة للنهوض العلمي والتقني ستكون هدفًا للتدمير، إنهم لا يكتفون بقتل العالم بل يشوهونه.

سميرة موسى قالوا عنها إنها كانت على علاقة عاطفية بسائقها الهندي ؛ لينالوا من شرفها مثلما نالوا من حياتها.

الدكتور ياسر: في أبحاث سميرة موسى، كان هناك ما يشير إلى اقترابها من استحداث تقنية جديدة؛ تمكنها من تفتيت العناصر الرخيصة مثل النحاس إلى عناصر أقل في الوزن الذري، وبالتالي الحصول على الطاقة النووية من غير المواد الانشطارية.

الدكتور المشد: نعم ولكن المحاولات في هذا الاتجاه لم تثمر

عن شئ، وخصوصًا أنها لم تترك أوراقًا أو أبحاثًا تشرح النتائج التي توصلت إليها.

ياسر: ولكن هناك من أكمل دراسات سميرة موسى وأجرى التجارب ودون النتائج وصادف بعض النجاح.

الدكتور المشد: هل تقصد أبحاث الدكتور عمر الخشاب في جامعة الإسكندرية؟

ياسر: نعم يا سيدي بالضبط .

الدكتور المشد: ولكن أبحاث د/ عمر الخشاب كان يشوبها الغموض، واختفت هي الأخرى وتوفى أيضًا في ظروف مريبة،وضاعت جهوده مع ضياع أوراقه.

ياسر: لا يا سيدي أوراق الدكتور عمر الخشاب محفوظة في مكان أمين، ومدون فيها بحرفية كل شيء.

الدكتور المشد: هل تعني أنك تعرف مكان تلك الأوراق؟

تلفت ياسر حوله في تردد وخوف فشجعه الدكتور المشد: تكلم في حرية فكل من هنا منا، وكلنا في مركب واحد والجميع مراقبون، وما يصدر في هذه القاعة لن يخرج عنها.

ياسر: هذه الأوراق معي سلمها لي الدكتور خلسة، أثناء مناقشة المشروع في نفس الأسبوع الذي اغتيل فيه.

سرت همهمة في القاعة وقطب الدكتور المشد جبينه في حدة، وسرت قشعريرة في جسد كمال، وتلمظت عينا توفيق في غضب شديد.

ياسر: نعم يا سيدي اغتيل كما توقع.

ظهر التأثر الشديد على وجه الدكتور المشد وردد بينه وبين نفسه فعلوها الكلاب.

ثم توجه إلى ياسر وسأله: هل أنت من تلاميذ دكتور عمر الخشاب؟

ياسر: نعم يا سيدي، كان يشرف على مشروع تخرجي وعندما أحس بالخطر المحدق أعطاني كل أوراقه لكي أكمل البحث.

عندما حاولت فتحها أمامه نهرني وأمرني ألا أفتحها إلا في بيتي وألا يراها أحد غيري لأنه يتوقع حدوث مكروه له، وهناك من يبحث عن هذه الأوراق.

لذا أتمنى من سيادتكم الموافقة على تخصيص فريق من الباحثين ليعمل معي في هذا الاتجاه الذي لو نجحنا فيه، فسنكون الرواد فيه .

كمال: أتمنى أن أكون ضمن فريق الدكتور ياسر أولاً لأنه صديقي، وثانيًا لأن سميرة موسى من قرية سنبو الكبرى التي تتبع مدينتي الصغيرة الجميلة زفتى.

تفوه أحد الحاضرين السودانيين بجملة أجبرت الجميع على الضحك: أعوذ بالله! ألم تجدوا غير هذا الاسم الزفت؟

الدكتور المشد: سنقسم العمل إلى مجموعات، مجموعة ستحاول تنفيذ التخصيب بطريقة الطرد المركزي.

مجموعة ستعمل على طريقة الانتشار الغازي، ومجموعة أخرى ستعمل على طريقة الليزر، أما المجموعة الأخيرة فهي مجموعة الشهيدة سميرة موسى أنت قائدها يا دكتور ياسر.

بعد أن نقدم تقريرًا سريعًا عن الطريقة ونسب احتمال النجاح فيها والمقومات المطلوبة لتنفيذها.

لمعت عينا ياسر، وهو يرى الحلم الذي وُئِد في أرض الكنانة يحبو من جديد في أرض الرافدين.

أحس بأن الشعلة لن تنطفئ أبدًا، تخبو في القاهرة وتشتعل في بغداد، وربما تخبو من بغداد غدًا وتشرق في مكان جديد من هذه الأمة العريقة.

كانوا يعرفون أن الوقت ليس في صالحهم، وأن هناك من يتربص بهم ويكيد لهم، وأن الضربة لابد آتية، ربما يعرفون من أين تأتيهم الضربات ولكنهم لا يعرفون متى.

لم يطل الانتظار طويلاً، فبدأ مسلسل الأعمال القذرة الذي توقعه الجميع، ففي الخامس عشر من إبريل عام ١٩٧٩م، دوى في السماعات نداء صوته كفحيح أفعى مجلجلة تنذر بالموت والخراب، على جميع العاملين بالتجمع في قاعة الاجتماعات لأمر هام.

تمنى الجميع أن يكون الاجتماع روتينيًا رغم ما كانت تشير إليه الدلائل؛ بأن هناك وراء الأكمة ما وراءها.

دخل الجميع القاعة خائفين ومرتبكين، وهم يختلسون النظر إلى بعضهم البعض في تساؤل مريب.

دخل المشرف القاعة وهي تعج بفرق العمل، وبدأ بالحديث عن محاولات الصهيونية المستميتة لوقف برامج الصناعة العربية.

أخبرهم أن وكالات الأنباء نقلت نبأ تفجير قلب المفاعل النووي العراقي في الترسانة البحرية الفرنسية قبل شحنه إلى العراق.

أكد احتراق ما يقارب من ٦٠٪ من المفاعل وأن الخسائر المؤكدة بلغت ثلاثة عشر مليونًا من الدولارات.

كانت نظرات الألم والحسرة تشع من عيون الدكتور يحيى المشد: كما قلت لكم من قبل لقد دخلنا إلى عش الدبابير ويجب علينا أن نتوقع وأن نتحمل لدغها.

يمكن أن نخرج منها مجروحين أو حتى مفقودين لكننا وبإذن الله سنخرج منها منتصرين، وتذكروا قول عمر المختار قبل إعدامه .. نحارب... ننتصر أو نموت... لكن لا نستسلم.

طلب الدكتور ياسر الكلام وكان منفعلاً حتى إن صوته جاء متقطعًا، وكأن الكلمات تتحشرج في حلقه.

ياسر: وماذا عن المخابرات الفرنسية المسئولة عن حماية الشحنة؟

الدكتور المشد: بالتأكيد هناك تعاون من بعض العاملين في المصنع مع الموساد الذي تشير كل الدلائل إلى تورطه في تنفيذ هذه العملية.

ياسر: وما العمل الآن؟ هل توقف مشروع المفاعل النووي العراقي إلى الأبد، وانتهت قصته، أو أن للقصة فصولاً لم تكتب بعد؟

الدكتور المشد: المفاعل مدفوع ثمنه بالكامل للحكومة الفرنسية، وهناك عقد ملزم بين الحكومتين العراقية والفرنسية.

ستضغط الحكومة العراقية للحصول على حقوقها العلمية والتقنية وليس للحصول على تعويضات مالية، حتى وإن تحملت الحكومة العراقية بعض نفقات إصلاح قلب المفاعل.

ياسر: وهل ستحصل الحكومة العراقية على اليورانيوم الجديد بنفس المواصفات القديمة، أو ستكون هناك ضغوطٌ لاستبداله بيورانيوم أقل تخصيبًا؛ ضغطًا للنفقات وللتخلص من الضغوط الصهيونية؟

الدكتور المشد: نتوقع أن يحاولوا الضغط على الحكومة العراقية لتخفيض نسبة التخصيب من ٩٠٪ إلى ٢٠٪.

منذ فترة وهم يتحدثون عن نوع جديد من اليوارانيوم يسمونه كرامل يمكن أن يقوم بتشغيل المفاعلات النووية،ولكن لا يمكن استخدامه في صنع الأسلحة النووية.

ياسر: لكن هذا النوع الجديد من اليورانيوم سيواجه مشكلة خطيرة عند تشغيله في قلب المفاعل الحالي بعد إصلاحه، لأنه سيتطلب تعديل تصميم قلب المفاعل وبالتالي لن يكون الموضوع سهلاً؟

الدكتور المشد: نعم الحق فيما تقول وإني على يقين أن الحكومة العراقية جادة في مطالبتها الحكومة الفرنسية بتنفيذ بنود

العقد وتوريد اليورانيوم المتفق عليه مسبقًا.

كمال: ألا تعتقد يا دكتور أن الخطر عليك شخصيًا أصبح وشيكًا، وأنهم كما نالوا من قلب المفاعل المادي سيحاولون النيل من قلب المفاعل العقلي وهو أنت، هذه المرة فجروا قلب المفاعل وفي المرة القادمة ربما يحاولون تفجيرك أنت، لا قدر الله.

ضحك الدكتور المشد في صوت ينم عن قلق دفين:

أولاً: أنا لست البرنامج النووي العراقي، كلنا هنا نمثل جزءًا من هذا الحلم، ومن فُقِدَ على الطريق لابد لمن تبقى أن يستكمله و إلا فقد خان دماء من سبقوه وخان أمانة الأمة.

كمال: لكن هذا الإيمان لا يعفي من اتخاذ الاحتياطيات الأمنية اللازمة لدفع الضرر عن عقولنا، وعن عيوننا وعن أمتنا، وأعتقد أنه يمكن للقيادات الأمنية الاستفادة من التجارب السابقة للموساد في اغتيال العلماء العرب.

الدكتور المشد: خطتهم في القضاء على العلماء تبدأ على مراحل، تبدأ بمحاولة تجنيس هؤلاء العرب بجنسية الدولة التي يعملون فيها، على أمل أن تتغير ولاءاتهم إلى بلدانهم الجديدة وبالتالي تنتهي خطورتهم عند هذا الحد.

أما الخطوة الثانية التي تكون بعد فشل الأولى، وهي تسليط الضوء على حياة العالم الخاصة والعامة وانتقاء أحد الشخصيات القريبة منه وتجنيدها للتجسس عليه لمعرفة نقاط ضعفه،

وفي قصة سميرة موسى رأينا أن تلك الشخصية كانت الممثلة المصرية اليهودية راقية إبراهيم الذي كان اسمها الحقيقي راشيل إبراهام.

صاحبت سميرة موسى أثناء تواجدها في لندن، ثم عادت معها مرة أخرى إلى القاهرة ثم سافرت معها إلى الولايات المتحدة، وكانت تزورها على الدوام بصفتها مصرية.

بعد اغتيال سميرة موسى عادت راشيل إلى إسرائيل فلقد أنهت مهمتها وعينت ضمن أول وفد إسرائيلي في الأمم المتحدة.

الخطوة التالية هي اختيار طريقة القتل بحيث تبدو طبيعية مثل حوادث الطرق، والسقوط من مباني عالية أو الانتحار.

وفي نموذج سميرة موسى فقد اختاروا طريقة حوادث الطرق، فلقد اتصل بها من يخبرها بإرسال سيارة لها لكي تأخذها إلى المعمل في آخر زيارة لها قبل السفر.

عند ركوبها السيارة اندفعت في سرعة عند أحد المنحنيات وقفز منها السائق ثم ترك السيارة تهوي بها إلى الأسفل.

يتم إخفاء أية دلائل و التخلص من الشهود على الجريمة إلى الأبد، بحيث لا يمكن لأي جهة مهما كانت أن تصل إلى أي شيء يقربها من الحقيقة.

وفي نموذج سميرة موسى تم قتل السائق في حادث سير بعدها بأسبوع، والخطوة الأخيرة هي محاولة تلويث شرف المجني عليه

بحيث لا يصبح مثلاً أعلى للشباب في بلده، فهم يحاولون قتله معنويًا بعد أن قتلوه ماديًا، كأن يتركوا في مكان الحادث ما يشير إلى علاقة غرامية ما غير شرعية .

وفي نموذجنا فلقد اتهموا المرأة العفيفة في شرفها لمعرفتهم بأثر ذلك على العقلية العربية التي تحتقر كل امرأة مستهترة، واتهموها بعلاقة جنسية مع سائق السيارة الهندي.

وهم يختارون توقيت الاغتيال بحيث يكون قبل المغادرة بوقت صغير جدًا، حيث يفقد الإنسان بعض تركيزه بسبب انشغاله بتفاصيل السفر وشراء الهدايا وتوديع الأصدقاء.

تزيد حركة الإنسان في تلك الفترة فيمكن اصطياده بسهولة ولا يفتقد لعلم الجميع بانشغاله بالسفر، وفي نموذج سميرة موسى فلقد تم الاغتيال قبل السفر بيوم واحد بعد أن حجزت مقعدًا على الطائرة للعودة بها إلى وطنها فعادت على غيره إلى قبرها، وبين الوطن والقبر علاقة لا تنسى.

ياسر: نتمنى أن يكون الدكتور المشد أكثر حرصًا لأنه بالنسبة لنا الروح التي تسري بنا، إنه قدوتنا ومثلنا الأعلى، وأي مكروه يمسه سيصيبنا جميعًا في مقتل.

لم يستطع ياسر أن يتمالك أعصابه فاختنق بالعبرات تسقط رغمًا عنه، وتحشرج صوته فتأثر الجميع وساد الوجوم على الجميع.

نظر الدكتور المشد إلى الدكتور ياسر في حب وتوجه إليه،

ومسح دمعة سقطت على خده ونظر في عينيه في عمق وقال في صوت متقطع:

نحن على طريق واحد، من يسقط منا أولاً يجب على الآخر أن يستكمل الطريق، من يسقط منا لا وقت للحزن عليه.

ثم تركه واتجه في وجه باسم إلى المجموعة.

الدكتور المشد: أزف إليكم خبرًا سعيدًا رغم تلك الأنباء المزعجة، لقد توصل فريق الدكتور ياسر إلى نتائج رائعة بكل المقاييس اطلعت عليها بنفسي.

نتمنى الوصول بها إلى طريقة مبتكرة للحصول على الطاقة النووية من المعادن غير المشعة.

أبشركم بخبر سعيد آخر، بنجاح التجارب الأولية لأجهزة الطرد المركزي محلية الصنع، ولكننا نحتاج فقط إلى الوقت، آه لو تركونا نعمل قبل أن ..

إنه الوقت عدونا الأول وهو الذي يقف في طريقنا مع عدو يتربص بنا في كل ثانية، ولكننا أيها الرجال سننتصر على أنفسنا بتقوية إرادتنا وسننتصر على الوقت وقبل كل شيء سننتصر على عدونا.

أنهى الدكتور المشد الاجتماع بتلك الكلمات التي أثارت الحماسة في نفوس الشباب فظلوا يصفقون في حرارة وصدق والدكتور المشد يرفع يديه مبتسمًا واثقًا صادقًا.

التف الجميع حول الرجل فذاك يشد على يديه بحرارة وآخر يحتضنه وثالث يقبله، وكأنهم كانوا يودعونه.

ابتسم أحد المتدربين من المسيحيين ورفع الصليب أمامه وكأنه يباركه، ابتسم د/المشد للجميع ورفع كلتا يديه معًا إلى الأعلى رمزًا للوحدة التي جمعتهم.

رفع يديه للجميع كأنه يقول للجميع موعدنا على الحوض مع الرسول الأكرم يوم نشرب معه شربة ماء لا نظمأ بعدها أبدا.

في اليوم الثامن عشر من شهر يونيو ١٩٨٠ تم الإعلان فجأة عن اجتماع للمجموعات، توجس الجميع شرًا، فهم دائمًا بانتظار الأسوأ الذي لا يتأخر عنهم أبدًا.

واعتقدوا أن الدكتور المشد هو الذي سيجتمع بهم لإبلاغهم بالنتائج التي توصل إليها مع الفرنسيين كما تعود أن يصارحهم ويتعرف على آرائهم.

دخل الدكتور جعفر بوجه متجهم لا ينبئ عن خير، ثم بدأ حديثه:

﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾، أبشركم اليوم ولا أنعي إليكم الشهيد الدكتور يحيى المشد.

تعالت الصرخات من جنبات القاعة فاستكمل الرجل كلامه وكأنه لا يسمع و لا يعي ما يدور حوله، وعلا نشيج البعض حتى

غطى على صوت المتحدث.

ارتفعت حرارة كمال ونظر في حسرة إلى رفيقه توفيق وكأنه يقول له لقد بدأت المطحنة ودورنا قادم عما قريب.

جحظت عينا ياسر وهو لا يكاد يصدق ما يسمع، فقد أحد الحضور وعيه بعد أن صرخ صرخة مدوية سقط بعدها مغشيًا عليه.

لطمت إحدى العراقيات وجهها في تصرف عفوي غير عابئة بما حولها نائحة ببعض من شعر الرثاء للحسين- رضي الله عنه - على إيقاع عجيب من صوت اللطم على الخدود والصدر.

أخاف من أعوفك ... بعد ما أشوفك

إذا ما تيجيني ...أقدر ظروفك

انتظر الرجل حتى أنهت المتدربة أبياتها، وأكمل بيانه في هدوء غريب:

لقد استشهد الدكتور المشد في باريس يوم الثالث عشر من هذا الشهر، إننا نحتسبه عند الله شهيدًا وكما أكد لنا سابقًا إننا على الطريق ومن سقط فلا وقت للحزن عليه.

فليحمل الراية من يستمر هذه وصيته، من يستغرق الوقت في الحزن فقد خان من سقط، فإنما الأعمار بأجل وكتاب، وكلنا على نفس الطريق و إنا لله و إنا إليه راجعون .

لم يتمالك ياسر الموقف فهوى ساجدًا إلى الأرض وهو يسترجع ويحوقل، صرخ كمال في شدة:

فعلها الكلاب.

رد عليه المحاضر: نعم فعلها الكلاب وهو نفس الوصف الذي أطلقه الشهيد عليهم عندما ساوموه، صرخ أحد المتدربين السودانيين، وماذا يمكننا أن نفعل بعد انهيار عمود الخيمة والعقل المفكر؟

ثم غلبه البكاء فسكت.

وقف المهندس سمير ووجه كلامه إلى الجميع:

إذا كان الحزن يقتلنا على رحيل الشهيد، فإن الإيجابية العلمية والوفاء له تتطلب منا زيادة ساعات العمل فلا نخرج إلا للصلاة والنوم، أرجو موافقة الإدارة على مد ساعات العمل اليومية إلى ست عشر ساعة، ولا يتوقف العمل إلا بعد إنجاز المهمة.

كما أؤكد أنه لن يكون آخر الشهداء، سيسقط منا المزيد في هذه المرحلة الحرجة من العمل، حياتنا الآن أصبح لها أهمية، نحن على أبواب فتح عظيم والوقت يداهمنا فلا يعطلنا الحزن على من سقط عن الوصول.

توفيق: هل هناك رواية رسمية لما حدث، أو ما تقوله خبر تناقلته وكالات الأنباء؟ لقد اتخذ -رحمه الله- كل الاحتياطات

الأمنية المطلوبة بل وحلل الموقف بالكامل، فكيف وصلوا إليه؟

الدكتور جعفر: لا ينفع حذر من قدر، كان الشهيد يعرف مدى الخطورة على حياته، ولعل كلماته التي كان يرددها (مصيبة متوقعة أو كرب محقق) كانت توقعًا حقيقيًا للنهاية.

لقد جاءت المصية وتحقق الكرب، لقد أذيع الخبر في جميع وكالات الأنباء العالمية، وظهرت صور الدكتور في الجرائد وهو ملقى على سريره ووجهه مغطي بالدماء.

توفيق: وما تقدير المخابرات العراقية للأمر؟

الدكتور جعفر: إن المعلومات تؤكد بأن الموساد وراءها، فبعد انتهاء عمل الدكتور مع العلماء الفرنسيين ذهب في جولة للتسوق.

بعد حضوره إلى الفندق تسلم المفتاح وعند ركوبه المصعد حاولت إحدى بائعات الهوى إغراءه، ولأنه كان يخاف الله فقد صدها بعنف وتبعته حتى باب غرفته وهو يدفعها بعيدًا، ثم دخل الغرفة وظلت تدق عليه مدة حتى يأست منه فعادت من حيث أتت.

بعد مدة دق الباب مرة فظن الدكتور أنها بائعة الهوى مرة أخرى فصاح بها من وراء الباب دون أن يفتحه أن تذهب.

فرد عليه صوت رجل عربي وهو يقول إنه يريد الحديث معه، ففتح له الباب وأدخله، فعرفه الرجل بنفسه أنه مصري الأصل يهودي يعيش في إسرائيل، فأمره فورًا بالخروج فقال له الرجل لن

أخرج حتى تسمع كلامي.

إن العرب واليهود أولاد عم وبينهم مصالح، وامتلاك العراق للتقنية النووية سيعني تعريض أمن إسرائيل للخطر، وعندما يتهدد وجود إسرائيل للخطر فستهدم المعبد على من فيه، وعندها سيتعرض الشعب اليهودي والشعب العربي للفناء.

كل ما يريدونه منه فقط إمدادهم بالمعلومات عن البرنامج النووي العراقي وسيجزلون له العطاء، وأنه في النهاية مصري وليس عراقيًا، وما يفعله هو خدمة للشعب العربي والشعب اليهودي، ولن ينسوا له ذلك.

وقف الدكتور المشد وقال له هل انتهيت من كلامك؟، فرد عليه عميل الموساد بالإيجاب، فقال له عليك الآن بالخروج يا كلب، وبلغ الكلاب الذين أرسلوك أن المصريين ليسوا للبيع.

تقول المصادر: إن مسئول الموساد خرج من غرفة الدكتور المشد وأبلغ قادته في تل أبيب بفشل محاولة استمالة المشد، وإنهم سيبدأون بالحل البديل وهو التصفية الجسدية.

أعطى مسئول الموساد الأوامر بتنفيذ عملية الاغتيال وركب بعد نصف ساعة طائرة العال الإسرائيلية إلى تل أبيب، قام العملاء بفتح باب الغرفة بالمفتاح الرئيسي (الماستر كي) ثم قاموا باغتيال الدكتور المشد، بقاعدة الأباجورة التي كانت بجانب السرير بغرفة النوم بعد مقاومة بطولية من الشهيد لكي تبدو عملية القتل

عادية، وليست مخططة ولم يقم بها قاتل محترف.

كمال: وماذا قالت التحقيقات الفرنسية؟

الدكتور جعفر: قيدت الحادث ضد مجهول، لقد قام عملاء الموساد بإرسال بائعة الهوى إليه، لكي تظهر أن الجريمة عاطفية.

السيناريو المتوقع أنهم دفعوا ببائعة الهوى لكي تدخل إلى غرفته وأن تمارس الجنس معه، فيدخل أحد الأشخاص مدعيًا أنها زوجته، ويساومه على العمل مع الموساد في هذا الوضع المخجل فإذا رفض يندفع ليضربه على رأسه ويهرب، وتظهر الجريمة على أنها بسبب علاقات نسائية ليس إلا؛ لإبعاد التهمة عن الموساد؛ ولتلطيخ سمعة الشهيد.

توفيق: وماذا كانت أقوال بائعة الهوى؟

الدكتور جعفر: قالت إنها سمعت كلامًا لم تفهمه لأنها كانت بلغة غير الفرنسية ثم سمعت صوت ارتطام شديد فخافت وهبطت إلى مدخل الفندق، وعندما سألها المحقق هل تجاوب معها الدكتور المشد، فنفت وقالت إنه صدها بعنف وبطريقة وحشية غير متحضرة.

سمير: أعتقد أن حل هذا اللغز عند تلك السيدة فلو وصلت إليها المخابرات العراقية فربما تميط اللثام عن الكثير من الخفايا.

الدكتور جعفر: لهذا السبب تم قتلها بعد أيام من شهادتها.

ياسر: كيف تم الأمر بهذه السرعة؟

الدكتور جعفر: قيل إنها كانت تعبر الطريق وهي مخمورة الساعة الواحدة صباحًا، فصدمتها سيارة مجهولة لا تحمل أرقامًا، فماتت على الفور.

ياسر: أي إن الجريمة كاملة.

الدكتور جعفر:

يبدو هذا إلى الآن على الأقل، فلا شيء هناك في مسرح الجريمة يعتد به، لا بصمات، ولا أوراق ولا أي شيء يدل على الفاعل سوى أحمر الشفاه الذي تركوه على المنشفة في الحمام؛ لكي يظهروا للشرطة أنها جريمة عاطفية.

ياسر: وماذا فعلت الحكومة العراقية مع عائلة الشهيد يحيى المشد؟

وغلبته العبرات فسكت.

الدكتور جعفر: دعا الرئيس صدام حسين عائلة الشهيد المشد إلى منزله وجلس معهم على الأريكة،

توسط بين قرينة الشهيد وابنته، ثم بسط ذراعيه عليهم كالصقر الذي يحمي عرينه.

ثم قال لهم: لقد فقدت صديقًا من أعز الأصدقاء، وإن حياتي لو كانت تفديه لأعطيتها له عن طيب خاطر.

فالزعماء السياسيون يملأون كل الوطن العربي، ولكن العلماء أمثال الشهيد قليلون، ووجه كلامه لقرينة الشهيد:

أنت يا أختي أمانة في عنقي، ولو رغبت الحياة معنا في العراق، فسأبني لك بيتًا بجوار قصري.

و إذا رغبت في السفر إلى القاهرة فسأصرف لكم ثلاثين ألف دينار عراقي (مائة ألف دولار في ذلك الوقت) لتبنوا لكم بيتًا في القاهرة، وسيصلكم راتب تقاعدي ثلاثمائة دينار عراقي (ألف دولار) شهريًا.

أنهى الدكتور جعفر حديثه بالدعاء بالرحمة للشهيد، ودعا فرق العمل إلى إنجاز المهمة التي اجتمعوا من أجلها، والذي يبدو أن الطريق إلى تحقيقها سيكون مليئًا بالصعاب.

سار الأصدقاء في طريقهم للعودة إلى العمل، قال كمال: إن الذي لا شك فيه أن الدكتور المشد استشهد في جريمة مخططة.

وأن الذين يمكن أن يفعلوا شيئًا لمعاقبة القاتل لا يريدون ذلك، لا مصر التي هو ابنها تريد أن تعكر أفراح السلام الزائف.

ولا العراق الذي منحه حياته؛ لأنه لا يريد لفت المزيد من الأنظار إليه، و لا فرنسا التي اغتيل على أرضها تريد أن تقف في مواجة إسرائيل والولايات المتحدة.

ولهذا فقد راح دمه هدرًا في ليلة كئيبة وباردة في بلد بارد بلا

قلب ولا إنسانية، رحم الله الشهيد يحيى المشد وأسكنه فسيح جناته.

❖ ❖ ❖

دماء في الغربة

في صباح يوم صحو، وعلى ارتفاع عالٍ في الطريق الواصل بين ولايتي كاليفونيا و تنسي، سمعت صوت كوابح السيارة، وهي تحتك بالطريق، تبعه صوت ارتطام، ثم سقوط مروع من أعلى الجبل أعقبه صوت تهشم السيارة بعد وصولها إلى القاع.

لم تدرك الفتاة المسكينة داخل السيارة حقيقة ما يحدث، رغم أنها كانت تتوقع حدوث شيء سيئ لها، لا تدري كنهه، ولكنها تدركه وكأنها كانت شمسًا تملأ الدنيا بالنور والحيوية والحركة، ثم آن وقت غروبها.

بعد فترة وجيزة، دوت صفارات سيارات الإسعاف والمطافئ والمرور، التي هرعت لمعاينة الحادث المروع.

- حادث مروع كما ترى أيها الرقيب هان، فالسيارة سقطت في هذا الوادي السحيق بطريق كاليفورنيا الوعر، دون أن نعرف السبب.

- إذن علينا الآن إجراء معاينة السيارة حتى نكتب تقريرنا.
- السيارة مهشمة تمامًا، وسيدة شرقية الملامح ميتة في المقعد الخلفي.
- ماذا ؟ إذن كان هناك من يقود لها السيارة.
- ولكن لا توجد أي جثث أخرى سوى جثة السيدة.
- إذن أين السائق؟
- اكتب يا هان:

في صباح يوم الجمعة الخامس عشر من أغسطس سنة ١٩٥٢، في الطريق الواصل بين ولايتي كاليفورنيا وتينيسي في الولايات المتحدة الأمريكية، وقع حادث سيارة نتج عنه مصرع سيدة مصرية عمرها خمسة وثلاثون عامًا، واسمها.....

في قرية صغيرة حيث يمتد البساط الأخضر إلى مالانهاية، تلتقي الأرض مع السماء في منظر خلاب بهيج، استيقظ أهل قرية سنبو الكبرى على صوت زغاريد تنطلق من بيت الحاج موسى علي أبي سليمة.

ظن أهل القرية أنه رزق بالولد بعد أن أنجبت له زوجته ست بنات من قبل، لكن كانت المفاجأة شديدة عندما علموا أنه رزق بالبنت السابعة.

طفلة مصرية بشرتها كخير مصر قمحية، تلمع عيناها في ذكاء مبكر، تشاكس الكبار في ثقة، لا تحب اللعب إلا مع الكبار.

رغم أنها البنت السابعة فقد امتد الاحتفال بها أسبوعًا كاملاً، وقد سماها والدها سميرة على اسم أمه.

صراخ الوليدة المتوالي فور ولادتها أقلق أهل البيت، رغم أنه كان مصدر سعادة لهم، كأن المولودة تلفت نظر الجميع إلى أن دورها في الحياة لن يكون بسيطًا ولن يكون عاديًا كباقي نساء القرية.

كان الحاج موسى من كبار رجال القرية ومنزله مكان يتجمع فيه الأعيان والوجهاء والفلاحين، اجتمع الناس في دواره يباركون للرجل أول مواليده، متمنين أن يرزقه الله في المرة التالية الولد المأمول.

كان الناس يتساءلون عن سر تلك الفرحة العارمة الظاهرة على الحاج موسى، ويسألون: كيف كان سيحتفل الحاج لو كان المولود ذكرًا؟

وجه الحاج موسى التحية لكل من حضروا لتهنئته بعد أن أكرمهم بوليمة من لحم العجل الصغير الذي ذبحه في عقيقة ابنته:

عقبال عندكم جميعًا، نهنئكم -إن شاء الله- في الأفراح، بارك الله فيكم وفي أعماركم وأولادكم، رد عليه الجميع التحية بالدعاء له ولابنته بالسعادة.

قال أحدهم:

ماذا نويت أن تسمي المولودة يا حاج؟

- سميتها على اسم المرحومة أمي، سميرة إن شاء الله.

- اسم جميل يا حاج، ربنا يطرح لك فيها البركة، وتفرح بزواجها.
- تقصد أفرح بتعليمها ونيلها الشهادات أولاً .. بعدئذٍ يأتي الزواج على راحته.
- لماذا يا حاج، نهاية البنت الزواج؟
- صحيح، لكن لماذا لا تذهب إلى منزل زوجها متعلمة، تعلم أولادها وتساعد زوجها، وتفيد مجتمعها؟
- ربنا يرزقك بالولد الصالح الذي يحمل اسمك، وتعلمه في أرقى المدارس.
- يستجيب الله لك، وسميرة -إن شاء الله -تتعلم وتحصل على أعلى الشهادات.

تعلمت في الكتاب مبادئ القراءة والكتابة، وحفظت بعض سور القرآن الكريم، وفي يوم كان الأطفال يرددون وراء الشيخ:

- ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾، صدق الله العظيم.
- أحسنتم .. أحسنتم .. بارك الله فيكم، اقرئي يا سميرة ما حفظته من سورة العلق.
- بسم الله الرحمن الرحيم .. ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾.
- صدق الله العظيم .. أحسنت يا سميرة.

دخل والدها إلى الكُتاب:

- السلام عليكم يا شيخ حماد.
- وعليكم السلام يا حاج موسى، تفضل يا رجل .. كانت سميرة تتلو علينا ما حفظته من كتاب الله، إن سميرة لديها قدرة كبيرة على الحفظ، كما أنها تتمتع بذكاء حاد.
- الحمد لله يا شيخ حماد، هذا بفضل جهدك وتعبك معها.
- لابد أن تكمل سميرة تعليمها، فالكُتاب وحده لا يكفي .
- بإذن الله، فكل أملي أن تنشأ في قريتنا مدرسة أولية تكمل فيها سميرة تعليمها.

وبالفعل عندما أتمت سميرة عامها الثامن وافقت وزارة المعارف على إنشاء مدرسة أولية في قرية كفر سنبو وتولى نظارتها رجل معروف بتشجيعه للعلم، وإيمانه بالرسالة التربوية والعلمية.

ومن حسن حظ سميرة أنها عاشت في مناخ ثورة تقدمية، غيرت وجه الحياة في مصر، الثورة التي أتت بالبرلمان والدستور وحرية الصحافة والأحزاب، وفكرة مساواة المرأة بالرجل وحقها في التعليم، ونص دستورها على أن التعليم الأولي إلزامي للجنسين بدون تفرقة.

والدها حاز نصيبًا جيدًا من التعليم فأصر على تعليمها، في زمن كانت المرأة ما تزال عورة في نظر الكثيرين.

جلب لها الأساتذة إلى المنزل فقد كان ميسور الحال، يميل إلى

الفن والطرب، يملك أراضي زراعية تدر عليه دخلاً لا بأس به.

له مكانة اجتماعية مرموقة بين أبناء قريته، وكان منزله بمثابة مجلس يلتقي فيه أهالي القرية ليتناقشوا في كافة الأمور السياسية والاجتماعية.

يأتي إليه الموظفون الرسميون والمتعلمون ليقرأ لهم الأخبار من الجرائد الرسمية يوميًا بعد صلاة العصر، وتدور المناقشات بين الحضور تعليقًا على تلك الأحداث الجسام التي تمر بها مصر.

كانت الطفلة ذات السنوات الأربع تجلس من بعيد لتستمع إلى تلك الأخبار وهي في حالة من الإثارة؛ لأن الكلام كان عن سعد باشا ورفاقه.

تعلمت الطفلة في الكُتاب منذ الصغر القراءة والكتابة، وأتمت حفظ بعض سور القرآن الكريم في كتاب القرية، والكثير من أحاديث النبي ﷺ، وكانت مهتمة بقراءة الصحف وكانت تتمتع بذاكرة فوتوغرافية تؤهلها؛ لحفظ الشيء بمجرد قراءته.

حين أصبح عمرها ست سنوات دخلت المدرسة الابتدائية، تفوقت على كل قريناتها في المدرسة، كانت بالفعل تحفظ أجزاءً من القرآن الكريم وما تيسر من الحديث الشريف.

دعا الحاج موسى ناظر المدرسة وشيخ الكتاب إليه في الدوار، وجلسوا بعد تناول الطعام في الدوار يتبادلون الحديث.

الحاج موسى:

- مرحبًا بكم أيها الكرام، تفضلوا يا سادة الشاي، هذا كوبك يا شيخ حماد تفضل.
- سلمت يداك يا حاج موسى أشكرك.
- وهذا شاي الأستاذ سيد ناظر أول مدرسة في قريتنا العامرة.
- بارك الله فيك يا حاج موسى.
- والآن يا سميرة، وكعادتنا في كل ليلة، ماذا ستقرئين لنا ؟ شعرًا أم قصة قصيرة؟ أم صحفًا ومجلات هذا الأسبوع؟
- سأقرأ لكم الصحف يا أبي .. صحيفة الأهرام .. حصول العالم الفرنسي جين بيرين على جائزة نوبل في الفيزياء.
- وهل تعرفين هذا العالم يا ابنة التسعة أعوام.
- نعم يا شيخ حماد فلقد قرأت عنه في أعداد سابقة من الصحف أن له بحوثًا كثيرة في الأشعة السينية.
- بسم الله ما شاء الله، أنت رائعة يا سميرة، أسأل الله أن يأتي اليوم الذي تحصلين فيه على جائزة نوبل في العلوم.
- أشكرك أستاذ سيد، ولكني مشفقة على ألفريد نوبل.
- ولماذا تشفقين عليه؟ فهذا الرجل قد مات، وأوصى بجوائزه في العلوم والآداب بتلك النقود التي جمعها من اختراعه المميت.
- يا أبي نوبل لم يخترع الديناميت من أجل الحروب، لقد

اخترعها ليشق الإنسان الجبال،ويخرج من باطنها معادن يستفيد بها في الحياة. العلم وبحوثه يا أبي ليست للدمار والقتل.

- إذن فلماذا العلم؟
- العلم للبناء .. العلم للعلاج .. العلم لمساعدة الإنسان على البقاء وليس لقتله وتدميره وتدمير المدن والدور.

دخل بعض الناس متأخرًا ففاتته قراءة الجرائد، فقالوا:

- نحن لم يسعدنا الحظ بسماع الأخبار، هل يمكن أن تعيد بعضًا منها، حتى لا تضيع علينا الليلة.

كانت الصغيرة على الموعد، فقالت بسرعة.

- يمكنني أن أعيدها غيبًا بدون قراءة:
- قولي يا بنتي

أعادت الطفلة الأخبار التي سمعتها أو قرأتها، معنونة أخبارها باسم الجريدة ورقم الصفحة، تعجب الحاضرون من فطنة وذكاء تلك البنت الصغيرة:

قال ناظر المدرسة:

- إن سميرة كانت على عهدي بها دائمًا، فهي من أكثر طالبات المدرسة نجابة وتفوقًا

قال الشيخ حماد:

- سميرة ستصبح من سيدات السياسة ولا شك، أتذكر عندما

مات سعد زغلول لقد قرأت للقرية كلها ما كتبته الصحف بعد وفاة سعد باشا، بل وحفظت هذه المقالات وقالتها لزملائها في المدرسة.

قال الناظر:

- إنها تسألني عن أصل كل شئ، وخاصة الاختراعات الحديثة مثل السيارة والطائرة، إني والله أريد أن أحافظ على هذا النبوغ.
- إن نبوغها ملحوظ وبخاصة في مادة الحساب، إنها تقوم بحل أعقد المسائل دون ورقة أو قلم، إنها تناقشني في كثير من الموضوعات وتحيرني بأسئلة أكبر من سنها إنها تحب العلم والمعرفة، ولديها رغبة أكيدة في الكشف عن كل ما هو غامض، إن سميرة تسبق زملاءها وزميلاتها بفارق كبير.

منذ ذلك الحين، حين كان الناس الذين يحضرون إلى المجلس متأخرين، حينما يطالبون والدها أن يعيد لهم قراءة الأخبار التي فاتتهم، كانت الطفلة تعيد عليهم الأخبار من عقلها دون الحاجة لفتح الجريدة بالترتيب وكأن ما سمعته طبع في قلبها.

عندما مات الزعيم سعد زغلول، وفي طابور الصباح في اليوم التالي في المدرسة، طلبوا منها قراءة النعي المكتوب في الجرائد، فقرأتها بلغة عربية رصينة، أعجبت الأساتذة فطلبوا منها قراءتها مرة أخرى.

وضعت سميرة الجريدة جانبًا، وأعادت النعي دون النظر في الجريدة، بلا خطأ واحد، رأى فيها ناظر المدرسة بداية نبوغ جاد.

بمرور الأيام صارت الطفلة فاكهة المجلس في البيت، وطابور الصباح في المدرسة، فأصبحت هي التي تقرأ الأخبار بطلاقة، بصوت ملائكي فصيح، يضبط حروف الكلام الصحيح كما حفظت من القرآن الكريم.

كانت مدرسة الموسيقى تعلم البنات غناء السلام الملكي لتقمن بغنائه في طابور الصباح، ففوجئت بالطالبة تحفظه بنغماته بصورة ممتازة، فجعلتها قائدة المجموعة لغناء النشيد كل صباح، فأصبحت تلقى القرآن الكريم وكلمة الصباح.

فوجئت المدرسة بأنها تجيد العزف على العود سماعيًا، فعلمتها النوتة الموسيقة وتعلمت العزف على الآلات الموسيقية الأخرى، وهي ما زالت في المرحلة الابتدائية.

كانت المدرسة تطلبها في مسابقات أوائل الطلبة رغم أنها ما زالت في السنوات الأولى من الدراسة.

قبل أن تنتهي سميرة من دراستها في المدرسة الأولية، طلب الناظر الأستاذ سيد بكري لقاء الحاج موسى والد سميرة على وجه السرعة.

- خير خير يا أستاذ سيد
- إن نبوغ سميرة يزداد يومًا بعد يوم.
- الحمد لله، أزعجني والله طلبك المفاجئ يا أستاذ سيد، حسبت

أن الأمر خطير.

- بل هو خطير بالفعل، يجب ألا يهدر طموح ونبوغ سميرة، يجب ألا يدفن على أعتاب التخلف الذي يسود قريتنا.
- ماذا تقصد يا أستاذ سيد؟ كيف أحافظ على نبوغ سميرة؟
- يجب أن تكمل سميرة تعليمها بالقاهرة.
- ماذا .. القاهرة؟
- نعم القاهرة، تتوافر فيها كل الإمكانات مدراس ابتدائية وثانوية، هذا بالإضافة إلى وجود جامعة الملك فؤاد الأول.

أنهت دراستها الابتدائية بتفوق وأثنى جميع من درسها على ذكائها المفرط، وعقلها اللماح، وسرعة استجابتها للأنشطة التعليمية وخصوصًا مادة العلوم والحساب.

عندما بلغ عمرها الثانية عشر، سنة ١٩٢٧ شهدت مدينة زفتى التي تتبعها قريتها سمبو الكبرى ثورة شعبية، بقيادة يوسف الجندي وأخيه عوض، أعلنت على إثرها المدينة استقلالها عن التاج البريطاني.

فشلت تلك المحاولة بعد أسابيع قليلة، بعد حصار الفرقة الاسترالية للمدينة، وعدم فك الحصار إلا بعد تسليمها الثوار، مما خلق لها إحساسًا وطنيًا فريدًا.

بعد أربع سنوات كادت أن تتوقف عن الدراسة، فلقد كانت هناك مدرسة ابتدائية وحيدة للبنات على مستوى المحافظة.

ولكي تكمل تعليمها كان على الأسرة – بناء على نصيحة ناظر المدرسة - أن ترحل إلى القاهرة إذا أرادت أن تكمل ابنتها رحلة تعليمها.

لم يتوان الأب عن دعم ابنته العبقرية التي أشاد بها كل من درسها، وتوقع الجميع لها مستقبلاً رائعًا لو تمكنت من إكمال تعليمها.

كان نصيب زميلاتها بعد التعليم في مدرسة المركز، الجلوس في المنزل ليتعلمن الحياكة والطبخ استعدادًا للزواج من أول رجل يدق على بابها.

سألت سميرة أباها:

- الآن يا أبي، هل سأتوقف عن الدراسة وأنا الأولى على المنطقة.
- يقولون إنهم سيفتحون في طنطا مدرسة ثانوية للبنات.
- و إذا لم تفتح تلك المدرسة؟
- سننتقل إلى القاهرة.. لا تخافي،تكملين دراستك طالما ظللت على تفوقك.
- أعدك يا أبي أن أكون الأولى على القطر المصري وهذا وعد مني.

باع الأب ما يملك من أطيان زراعية، وأنهى كل ارتباطاته بالقرية، و انتقلت الأسرة مع ابنتهم إلى القاهرة من أجل تعليمها، واشترى فندقًا بحي الحسين وفندقًا آخر بحي العتبة؛ حتي يستثمر أمواله و يمكنه الصرف على ابنته النابغة وأسرته الكبيرة.

التحقت الطفلة بقصر الشوق وأخذت الشهادة الابتدائية منها وكانت الأولى على المدرسة، مما أهلها للالتحاق بمدرسة بنات الأشراف الثانوية الخاصة والتي أسستها وأدارتها الناشطة النسائية السياسية المعروفة نبوية موسي.

- ما شاء الله، نتائج ممتازة، تقدمت في المراحل التعليمية بتفوق.
- ذلك لأن أدعوك كمثل أعلى لي فنضالك ووطنيتك ودعواتك لتحرير المرأة، كل هذا فخر لنا،وكذلك اسهاماتك في الحركة التعليمية، مثل إنشائك لهذه المدرسة هنا في القاهرة، وأخرى في الإسكندرية، و إصدارك لجريدة الفتاة.
- وهل تقرأين جريدة الفتاة؟
- كل عدد وقرأت مقالك حين كتبت: إن الفتاة يجب أن تتحد في الثقافة العامة مع الفتى.
- رائع يا سميرة.
- وكذلك قرأت كتابك المرأة والعمل وكتبت: إن الأمة لا تنجح إلا إذا كانت نشيطة عاملة، و لا تكون نشيطة مادام يكون نصفها أشلاً لا حياة فيه، فإدا لم نعمل نحن النساء كان نصف

الأمة المصرية مهملاً لا ذكر له.

- أنت رائعة، وأتوقع لك مستقبلاً باهرًا يا أحدث بنات مدرستي، مدرسة الأشراف الثانوية.

في حي السيدة زينب ترعرعت وأضاف إليها عبق المكان روحانية صافية، بالإضافة إلى الاهتمام العلمي والنبوغ فيه.

حفظت ما تبقى لها من القرآن الكريم، وتعلمت في المسجد الدروس الدينية التي كانت تعقد في حرمه، وكثيرًا ما كان والدها يرسلها بالطعام والصدقة لأصحاب الحاجات من النساء، فكانت تميز بين المحتاجات وبين اللاتي يسألن الناس إلحافًا.

كان لتفوقها المستمر أثر كبير علي مدرستها، حيث كانت الحكومة تقدم معونة مالية للمدرسة التي يخرج منها الأول على الدولة، دفع ذلك ناظرة المدرسة إلي شراء معمل خاص للفتاة حينما سمعت يومًا أنها تنوي الانتقال إلي مدرسة حكومية يتوفر بها معمل للعلوم.

- ماذا؟ طلب نقل؟
- نعم أريد أن أنتقل إلى مدرسة حكومية.
- لماذا، وهل أغضبك أحد هنا؟
- لا .. المدرسة هنا ليس بها معمل للطبيعة، أستطيع فيه تطبيق تجارب مادة الطبيعة المعملية، وأنا أريد أن أجري هذه التجارب بنفسي.
- وأنا لا أستطيع التفريط في تلميذة نجيبة مثلك، سأصدر

أوامري الآن بإنشاء معمل للطبيعة هنا في المدرسة وبإمكانك إجراء كل التجارب المعملية.

كانت التواشيح الدينية قبل صلاة الفجر تردد من فوق مئذنة المسجد القريب من البيت، نهض الحاج موسى من فراشه، فوجد غرفة سميرة مضاءة، فاعتقد أنها نسيت إطفاء المصباح، وذهب ليطفأه، فوجد سميرة منكبة على دروسها، لم تنم بعد.

- سميرة .. لقد أذن الفجر يا ابنتي وأنت لم تنامي بعد، وأنت لم تنته من مذاكرتك؟
- أنا لا أذاكر يا أبي.
- لا تذاكرين ماذا تفعلين إذن؟
- أؤلف كتابًا يا أبي
- أي كتاب يا ابنة السادسة عشر ربيعًا.
- كتاب الجبر يصعب فهمه، فزميلاتي يعانين من هذا الكتاب فقررت شرحه لهن بطريقة مبسطة، وقررت تأليف كتاب يبسط كتاب الجبر، وسميته كتاب الجبر الحديث
- الله الله.
- ليسهل على زميلاتي استيعاب منهج الجبر.

وخرج الكتاب إلى النور بعد أن تم بمكتبة وادي النيل بالفجالة، وكتب عليه الجبر الحديث الجزء الأول لطلبة السنة الأولى الثانوية

حسب المنهج المخفف الذي أقرته وزارة المعارف العمومية، تأليف سميرة موسى الطالبة بمدرسة بنات الأشراف الطبعة الأولى، سنة ١٩٣٩ حقوق الطبع محفوظة للمؤلفة.

كتبت في المقدمة أن كل نسخة بدون توقيع المؤلفة تعتبر مسروقة، وهذا يؤكد اعتزازها بنفسها، وقد كتبت فيها إهداء إلى مدرس الجبر محمد أفندي حلمي.

حصدت سميرة الجوائز الأولي في جميع مراحل تعليمها، فقد كانت الأولي علي شهادة التوجيهية.

لم يكن فوز الفتيات بهذا المركز مألوفًا في ذلك الوقت،حيث لم يكن يسمح لهن بدخول امتحانات التوجيهية إلا من المنازل ؛حتي تغير هذا القرار بإنشاء مدرسة الأميرة فايزة، أول مدرسة ثانوية للبنات في مصر.

كانت الفتاة مولعة بالقراءة. وكونت مكتبة كبيرة متنوعة في الأدب والتاريخ وخاصة كتب السير الذاتية للشخصيات القيادية المتميزة.

أجادت الفتاة استخدام النوتة والموسيقي وفن العزف علي العود، كما نمت موهبتها الأخري في فن التصوير و خصصت جزءًا من بيتها للتحميض والطبع، أحبت التريكو والتفصيل، وتقوم بتصميم وحياكة ملابسها بنفسها.

حصلت سميرة على البكالوريا، وحصلت على المركز الأول

على القطر، ونحت فكرة الزواج جانبًا بكل عزم وتصميم، اختارت الفتاة العبقرية كلية العلوم بجامعة القاهرة، رغم أن مجموعها كان يؤهلها لدخول كلية الهندسة كلية القمة في ذلك الوقت، وكانت أول فتاة تدخل هذه الكلية، حيث انقلبت الدنيا رأسًا على عقب، وأثيرت في الصحف وقتها، وسخط مشايخ الأزهر، بل وصل الحد إلى تقديم استجواب برلماني، حينما كانت أمنية أي فتاة في ذلك الوقت هي الالتحاق بكلية الآداب.

هناك لفتت نظر أستاذها الدكتور مصطفي مشرفة، أول مصري يتولي عمادة كلية العلوم. وتأثرت به تأثرا مباشرًا، ليس فقط من الناحية العلمية بل أيضا بالجوانب الاجتماعية في شخصيته.

- أنت طالبة مجتهدة يا سميرة، أداؤك في الاختبارات والمعامل ينبيء لنا بعالمة كبيرة في المستقبل.
- أشكرك يا دكتور مشرفة،فخر لي أن أكون تلميذة للدكتور على مصطفى مشرفة، فأنت اسم كبير في مجال العلم والبحث.
- فقط أريد منك المزيد من الاستذكار والبحث.
- بالطبع يا دكتور مشرفة، أنا مهتمة بنسبية أينشتاين، أنا أرى أن الحقيقة ليست دائمًا من الوضوح بحيث تقول لنا ها أنا ذي ولكنها كثيرًا ما تلتوي علينا.
- هذا طرح رائع، وهل حددت وجهتك في أي فرع من علوم الفيزياء ستكملين فيه دراستك بعد التخرج.

- رغم تحذيرات الدكتور محمود مختاررئيس قسم الطبيعة وإشفاقه علي من دراسة الطبيعة الذرية إلا أنني أشعر بميل شديد لهذه الدراسة.

وبالفعل تخرجت سميرة في قسم الطبيعة في كلية العلوم عام ١٩٣٩، وكانت نتائجها تمهد لأن تكون سميرة أول معيدة في كلية العلوم.

حصلت الفتاة علي بكالوريوس العلوم وكانت الأولي علي دفعتها،وعينت كمعيدة بكلية العلوم وذلك بفضل جهود د.مصطفي مشرفة الذي دافع عن تعيينها بشدة وتجاهل احتجاجات الأساتذة الإنجليز الذن كانوا يدرسون في الجامعة في ذلك الوقت.

- اهدئي يا سميرة اهدئي، وسأجد لهذا حلا.
- كيف أهدأ يا دكتور مشرفة، قوى عديدة داخل الكلية تقف أمام تعييني معيدة هنا؛ بسبب صغر سني هل التعيين هنا بالسن أم بالعلم والبحث؟
- إن صغر السن لا يقف في طريق النبوغ، بل على العكس، والتعيين حق عادل لك؛ لكي تواصلي التفوق العلمي.
- أشكرك يا دكتور مصطفى، وأشكر رعايتك لي طوال الفترة السابقة.
- أنا مؤمن بنبوغك يا سميرة، ومؤمن أيضًا بقدراتك لهذا سأرسل خطابًا الآن خطابا إلى وزير المعارف للنقراشي باشا، وهو

صديق قديم لي بل سأرسل له خطابين.

- وما الخطاب الأول يا دكتور مصطفى؟
- مذكرة بطلب تعيينك معيدة بكلية العلوم و إمهاله سبعة أيام لتنفيذ هذه المذكرة.
- والخطاب الثاني؟
- استقالتي ففي حالة عدم تحقيق طلبي في الخطاب الأول ينفذ الخطاب الثاني وهو الاستقالة.

ورفع النقراشي الأمر إلى رئيس الوزراء، واجتمع من أجل ذلك مع بعض الوزراء، حتى وافق مجلس الوزراء على تعيين سميرة موسى معيدة بكية العلوم.

شاركت في جميع الأنشطة الحيوية في الجامعة وخارجها، فحينما كانت طالبة بكلية العلوم انضمت إلي ثورة الطلاب في الجامعة، كما شاركت في مشروع القرش لإقامة مصنع محلي للطرابيش، وكان د. مصطفي مشرفة من المشرفين على هذا المشروع.

اشتركت في جمعية الطلبة للثقافة العامة والتي هدفت إلي محو الأمية في الريف المصري، وجماعة النهضة الاجتماعية والتي هدفت إلي تجميع التبرعات؛ لمساعدة الأسر الفقيرة، كما أنضمت أيضًا إلي جماعة إنقاذ الطفولة المشردة، و إنقاذ الأسر الفقيرة.

تأثرت الفتاة بإسهامات المسلمين الأوائل، ولها مقالة عن

الخوارزمي ودوره في إنشاء علوم الجبر.

لها عدة مقالات أخرى من بينها مقالة مبسطة عن الطاقة الذرية وأثرها، وطرق الوقاية منها، شرحت فيها ما الذرة من حيث تاريخها وبنائها؟، وتحدثت عن الانشطار النووي وآثاره المدمرة،وخواص الأشعة وتأثيرها البيولوجي.

- للأسف الشديد يا سميرة الحرب بدأت في أوروبا، ولن تستطيعي السفر إلى لندن لتحضير الماجستير.
- رغم أن الحزن هو الشعور الوحيد الذي يطل علينا الآن، إلا أنني قررت تحضير الماجستير هنا في مصر.
- رائع يا سميرة هذا ما أنتظره منك، ورغم الفارق الكبير بين معامل كليتنا و معامل كلية العلوم في لندن، إلا أنني -وبمشيئة الله- سأوفر لك الإمكانيات المادية والمعملية والبشرية؛ حتى تنتهي من الماجستير، ولكن أخبريني ما موضوع رسالة الماجستير الذي تنوين البحث فيه؟
- التواصل الحراري للغازات.

في عام ١٩٤٢حصلت الفتاة علي شهادة الماجستير في موضوع التواصل الحراري للغازات بامتياز مع مرتبة الشرف، كان الموضوع غامضًا على الجميع، إلا ان القنابل الذرية التي ألقيت على اليابان في نهاية الحرب العالمية الثانية، وخلفت مئات الآلاف من القتلى والمصابين واختفاء مدن بأكملها، كان دليلاً عمليًا على

نظرية سميرة موسى.

- لولا سفرك لإعداد رسالة الدكتوراه لما تركتك تسافرين إلى لندن بمفردك.
- كلها ثلاث سنوات فقط يا أبي، نحن الآن في عام ١٩٤٧ و بإذن الله أعود هنا قبل عام ١٩٥٠م.
- فليحفظك الله يا ابنتي لتعودي إلينا عالمة كبيرة، و لا تنسي يا ابنتي إرسال خطابات لي حتى أستطيع الاطمئنان عليك.

سافرت سميرة في بعثة إلى المملكة المتحدة، درست فيها الإشعاع النووي، وحصلت على الدكتوراة في الأشعة السينية وتأثيرها علي المواد المختلفة.

بعثت إلى أبيها خطابًا تقول فيه:

أبي العزيز: أقوم بإجراء تجارب في معمل متقدم جدًا، أدرس استخدام المواد المشعة في العلاج، لو كان لدى معمل في مصر مثل هذا كنت استطعت تحقيق الكثير، اخترت موضوع الدكتوراة، خصائص امتصاص المواد لأشعة إكس.

أبي العزيز بعد سبعة عشر شهرًا فقط، حصلت على الدكتوراة، أصبحت الدكتورة سميرة موسى علي أبا سليمة.

قال أبوها وهو يحاول منع دموعه من الفرح:

الحمد لله .. أهنئك يا ابنتي .. لكن لا تنسي وعدك لي فمصر تحتاج إليك.

واصلت سميرة الليل بالنهار لاستكمال بحوثها حتى توصلت إلى معادلة مهمة تساعد على تفتيت ذرات المعادن الرخيصة حتى تستخدم في صنع القنبلة الذرية، وأيضًا استخدام الطاقة النووية في الاستخدامات السلمية والطبية، حتى قالت سميرة جملتها الشهيرة، سأجعل العلاج النووي رخيصًا مثل الأسبيرين.

أثناء وجودها في إنجلترا تقابلت بالصدفة مع الفنانة المصرية راقية إبراهيم اليهودية، ودعتها لزيارتها بحجة أنهما مصريتان، ووطدت علاقتها معها.

أنجزت الفتاة الرسالة العلمية في سنة وخمسة أشهر وقضت السنة الثانية في أبحاث متصلة، وصلت من خلالها إلي معادلة هامة لم تلق قبولاً في العالم الغربي آنذاك، تمكن من تفتيت المعادن الرخيصة مثل النحاس ومن ثم صناعة القنبلة الذرية من مواد قد تكون في متناول الجميع، ولكن لم تدون الكتب العلمية العربية الأبحاث التي توصلت إليها تلك الفتاة العبقرية.

كانت تأمل أن يكون لمصر والوطن العربي مكان وسط هذا التقدم العلمي الكبير، حيث كانت تؤمن على عكس أفكار الآخرين بأن زيادة ملكية السلاح النووي يسهم في تحقيق السلام.

فأي دولة تتبني فكرة السلام لا بد وأن تتحدث من موقف قوة لردع من تسول له نفسه الاعتداء عليها.

عاصرت الفتاة المصرية العبقرية ويلات الحرب العالمية

الثانية، وتجارب القنبلة الذرية التي دكت هيروشيما وناجازاكي في عام ١٩٤٥ولفت انتباهها الاهتمام المبكر من إسرائيل بامتلاك أسلحة الدمار الشامل وسعيها للانفراد بالتسلح النووي في المنطقة.

قامت الفتاة بتأسيس هيئة الطاقة الذرية بعد ثلاثة أشهر فقط من إعلان الدولة الإسرائيلية عام ١٩٤٨.

حرصت علي إيفاد البعثات للتخصص في علوم الذرة فكانت دعواتها المتكررة إلي أهمية التسلح النووي، ومجاراة هذا المد العلمي المتنامي.

نظمت مؤتمر الذرة من أجل السلام الذي استضافته كلية العلوم وشارك فيه عدد كبير من علماء العالم.

كانت الفتاة تأمل أن تسخر الذرة لخير الإنسان وتقتحم مجال العلاج الطبي حيث كانت تقول: «أمنيتي أن يكون علاج السرطان بالذرة مثل الأسبرين».

كما كانت عضوا في كثير من اللجان العلمية المتخصصة علي رأسها لجنة الطاقة والوقاية من القنبلة الذرية التي شكلتها وزارة الصحة المصرية.

في عام ١٩٥١حصلت على منحة دراسية من برنامج فولبرايت الذري لدراسة الذرة بالولايات المتحدة الأمريكية، وأذهلت العالم كله، ببحوثها التي تربط بين الذرة والاستخدامات السلمية لها، ثم سافرت الفتاة إلى أمريكا ثانية في برنامج لتبادل الدارسين.

- أنا متابع جيد لكل بحوثك عن الذرة والطاقة النووية دكتورة سميرة، فأنت الآن واحدة من أكبر علماء الذرة في العالم.
- أشكرك دكتور أيذر وأشكر لك تنظيمك الجيد لزيارتي هنا في أمريكا فلقد سعدت جدًا بزيارة مدينة أوكلدج.
- تعرفين أن هذه المدينة هي أحدى المدن السرية الثلاثة التي ساهمت في صتع القنبلة الذرية، إنها المدينة التي فيها يتم فصل اليورانيوم، وليس مسموحًا لأي عالم أو حتى عامل نظافة بدخولها ومن يدخلها إما معنا أو ..
- أو ماذا دكتور أيذر؟
- إن الولايات المتحدة تعرض عليك البقاء هنا للبحث والعلم و إجراء التجارب على الذرة والطاقة النووية بل وتعرض عليك الجنسية الأمريكية.
- اسمع يا دكتور أيذر.. أنا مصرية صميمة .. وسوف أعود إلى بلدي لأقدم لها كل ما تعلمته، ولنقل كل ما رأيته هنا لعمل مثيله في مصر وداعًا دكتور أيذر
- وداعًا دكتورة سميرة، خسارة سيكون رحيلك خسارة على الولايات المتحدة بل على البشرية كلها.

لم تنبهر ببريق الولايات المتحدة أو تنخدع بمغرياتها ففي خطاب إلي والدها قالت:

ليست هناك في أمريكا عادات وتقاليد كتلك التي نعرفها في

مصر، يبدأون كل شيء ارتجاليا.. فالأمريكان خليط من مختلف الشعوب، كثيرون منهم جاءوا إلي هنا لا يحملون شيئًا علي الإطلاق فكانت تصرفاتهم في الغالب كتصرف زائر غريب، يسافر إلي بلد يعتقد أنه ليس هناك من سوف ينتقده لأنه غريب.

قبل عودتها بأيام استجابت لدعوة لزيارة معامل نووية في ضواحي كاليفورنيا، وفي طريق كاليفورنيا الوعر المرتفع ظهرت سيارة نقل فجأة؛ لتصطدم بسيارتها بقوة وتلقي بها في وادٍ عميق، قفز سائق السيارة زميلها الهندي في الجامعة الذي يقوم بالتحضير للدكتوراة والذي اختفي إلي الأبد.

أوضحت التحريات أن السائق كان يحمل اسمًا مستعارًا وأن إدارة المفاعل لم تبعث بأحد لاصطحابها.

الغريب أنه في الولايات المتحدة الأمريكية قابلت راقية ابرهيم مرة أخرى، وتبادلا الزيارات والدعوات على الطعام، ولم تر الفتاة في هذا بأسًا، مصريتان في الغربة.

كانت تقول لوالدها في رسائلها:

لو كان في مصر معمل مثل المعامل الموجودة هنا كنت أستطيع أن أصنع أشياء كثيرة.

لقيت العالمة سميرة موسى مصرعها في حادث يكتنفه الغموض إلى الآن رغم وضوح المدبرين، وبعد أيام عادت جثتها إلى مصر، داخل تابوت بلاتيني ضخم، وعندما فتحه أخوها ماهر في المطار،

وجد جثتها وكأنها لم تمت، دون خدوش أو كسور وكأنها أميرة فرعونية شابة، فلقد أرسلت من أمريكا محنطة وبكامل ملابسها، فستان أسود ومنديل حريري في يدها وطليت أظافرها بالطلاء، وكأنها عروس في ليلة عرسها.

وجدوا بين أوراقها كلامًا يقول:

تمنيت أن اكون ملكة للجمال يزين هامتي تاج من نور وأحكم على عرش القلوب،وأتيه في مملكة الجمال والوقار، وأسمو إلى سماء الكمال، ثم تمنيت وتمنيت وما أغنتني الأماني.

علق مستشار مصر الثقافي في واشنطن وقتها أن كلمة (أشياء كثيرة) كانت تعني بها أن في قدرتها اختراع جهاز لتفتيت المعادن الرخيصة إلي ذرات عن طريق التوصيل الحراري للغازات، ومن ثم تصنيع قنبلة ذرية رخيصة التكاليف.

في آخر رسالة لها كانت تقول: لقد استطعت أن أزور المعامل الذرية في أمريكا، وعندما أعود إلي مصر سأقدم لبلادي خدمات جليلة في هذا الميدان،وسأستطيع أن أخدم قضية السلام.

كانت الفتاة تنوي إنشاء معمل خاص لها في منطقة الهرم بمحافظة الجيزة إلا أن القدر لم يمهلها الوقت لتحقيق هذا الأمل.

ما زالت الصحف والبرامج الإعلامية تتناول قصتها وملفها الذي لم يغلق، وإن كانت الدلائل تشير طبقا للمراقبين أن جهاز

المخابرات الإسرائيلية هو الذي اغتالها، جزاء لمحاولتها نقل العلم النووي إلى مصر والوطن العربي في تلك الفترة المبكرة.

إنها العالمة المصرية الشهيدة سميرة موسى بنت قرية سنبو الكبرى، مركز زفتى غربية، التي اغتالتها يد الغدر في الولايات المتحدة الأمريكية، بمساعدة الفنانة راقية إبراهيم التي كانت تكره العرب لولائها لإسرائيل لكونها يهودية.

اسمها الحقيقي راشيل إبراهام ليفي، المعروفة باسم راقية إبراهيم الممثلة اليهودية المتهمة بالضلوع فى اغتيال عالمة الذرة المصرية سميرة موسى، حين تعاونت مع الموساد الإسرائيلي واستمرت عميلة لديه لفترة طويلة.

قالت حفيدة الممثلة الجاسوسة التي تعيش في الولايات المتحدة إن جدتها ساهمت بشكل رئيسي في تصفية عالمة الذرة المصرية من خلال استغلال علاقة الصداقة التي كانت تجمعهما، والتي كانت تسمح لها بالذهاب لمنزلها، وتصويره بشكل دقيق.

فى إحدى المرات استطاعت راقية - والكلام على لسان حفيدتها- سرقة مفتاح شقة سميرة، وطبعته على صابونة، وأعطتها لمسؤول الموساد في مصر.

بعد أسبوع ذهبت راقية إبراهيم للعشاء مع سميرة موسى في «الأوبيرج» وعرضت عليها الجنسية الأميركية والبقاء في

أميركا،لكن سميرة غضبت ورفضت وطردت راقية منذ ذلك الوقت من حياتها.

وفقًا لمذاكرات راقية إبراهيم الشخصية، فعندما علمت بموعد إحدى زيارات سميرة موسى إلى أحد المفاعلات النووية في الولايات المتحدة، قامت بإبلاغ الموساد الإسرائيلي، ليتم اغتيالها في حادث السيارة..

❖ ❖ ❖

آينشتاين العرب

طفل خلت حياته من كل مظاهر ومباهج الطفولة، كانت أمه تقول له: إن اللعب مضيعة للوقت، و يبدو أن أمه كانت تعده لأيام صعبة لا تدري عنها شيئًا.

- رايح فين يا علي؟
- هروح ألعب مع أصحابي.
- اللعب للعيال وأنت راجل يا علي.
- زملائي بيلعبوا في الشارع.
- اللعب بيضع الوقت، واللي يضيع وقته يبقى بيضيع عمره.
- حاضر يا ماما .. أنا هدخل أذاكر...
- شاطر يا حبيبي علشان تطلع الأول على المدرسة يا علي.

حتى الشارع الذي يسكن فيه الطفل مع أهله في دمياط كان اسمه شارع المظلوم، ربما كان مقدمة لما سيقابل هذا الطفل في مستقبل أيامه، وكأنما كان اسم الحي الذي تقطن فيه العائلة عنواناً لحياته الحافلة بالأحداث، والتي انتهت بوفاته غير الطبيعية في عز شبابه.

لا يذكر أنه لعب مرة واحدة وهو طفل، رأى الأطفال يلعبون في شوارع دمياط، ولم يشاركهم مرة، ولم يتحسر، فقد كان حلمه

أن يكون ترتيبه الأول بين تلاميذ فصله، واستطاع أن يحقق هذا الحلم طوال دراسته الابتدائية ودراسته الثانوية.

كان والده من ذوي اليسر والجاه، وقد كان الابن الأكبر لمصطفى مشرفة أحد وجهاء تلك المدينة وأثريائها، وقد قضى مشرفة السنوات الأولى من طفولته فى رغد من العيش وهناءة البال إلى أن حلت بوالده في سبع وتسعمائة وألف ١٩٠٧ أزمة من أزمات القطن الشهيرة التي كانت تهز الاقتصاد المصري فتهوى بالأغنياء إلى قاع الفقر، فأودت بمائتي فدان كان الوالد يمتلكها.

على أن المسألة لم تقف عند هذا الحد من الفقر بعد غنى، وإنما ذهبت تترك بصماتها في الحياتين العائلية والاجتماعية للأسرة، وتفاقمت الأزمة عندما ترك والد علي الحياة الدنيا إلى الآخرة قبل امتحان الابتدائية بشهور، وذهب علي يؤدي امتحان الابتدائية فيحرز المركز الأول في هذه الشهادة على القطر المصري سنة ١٩١٠.

يقول عن طفولته: لقد كنت أفني وأنا طفل لكي أكون في المقدمة، فخلت طفولتي من كل بهيج، ولقد تعلمت في تلك السن أن اللعب مضيعة للوقت، كما كانت تقول والدتي، تعلمت الوقار والسكون في سن اللهو والمرح، حتى الجري كنت أعتبره خروجًا عن الوقار.

حفظ عليٌّ القرآن الكريم منذ الصغر، كما كان يحفظ الصحيح من الأحاديث النبوية، ومحافظًا على صلاته مقيمًا لشعائر دينه

كما علمه والده.

ظلت هذه المرجعية الدينية ملازمة له طوال حياته، يوصي إخوته وجميع من حوله بالمحافظة على الصلاة وشعائر الدين كلما سنحت له الفرصة.

بدا ذلك جليًّا في خطاباته التي كان يبعثها إلى إخوته وأصدقائه أثناء سفره للخارج، والتي طالما ختمها بمقولة: (اعمل و إخوانك للإسلام.. لله)، وقد عاش ملازمًا له في جيبه مصحف صغير رافقه في السفر والحضر.

تلقى دروسه الأولى على يد والده ثم في مدرسة «أحمد الكتبي»، وكان دائمًا من الأوائل في الدراسة.

بموت الأب صار الابن الذي لم يكن قد تجاوز الثانية عشرة من عمره عميدًا لأسرته المكونة من أمه؛ إخوته نفيسة، ومصطفى وعطية وحسن.

ولعل هذا هو السر فيما يُعرف عن شخصية الدكتور «علي مشرفة» بالجلد والصبر.. وحب الكفاح، وارتفاع الحس التربوي في شخصيته

استيقظ الطفل في الليل على صوت بكاء مصدره غرفة أمه، خرج من غرفة نومه واقترب من باب غرفتها مترددًا، ودق الباب بهدوء:

- ادخل، هل تريد شيئًا يا علي؟

- أرجوك يا أمي، كفى بكاءً.
- رغمًا عني يا ولدي.
- ألم تقولي لي إن الموت ليس بأيدينا، وأن البكاء لا يعيد الموتى؟
- نعم يا علي قلت لك هذا، ولكن ما حدث أخذ معه أشياء كثيرة، لم يعد لدينا أي شئ.
- ماذا تقصدين يا أماه؟.
- لقد كبرت يا ولدي، ولابد أن تعرف كل شئ.
- ما تقصدين بلم يعد لدينا أي شيء، هل ضاعت مئتي الفدان، والبيوت والنقود كلها ضاعت؟ كيف ومتى حدث ذلك؟
- من ثلاث سنوات، خسر أبوك كل شيء في تجارة القطن، اضطر أن يستدين من البنوك، على أمل أن يعيد كل شيء في السنين القادمة، ولكن بالعكس الديون زادت والبنوك حجزت على كل ما نملك، لم يتحمل أبوك طب ساكت.
- وماذا نفعل يا أمي؟
- لا أعرف يا علي،لا أدري ماذا أفعل عندما يخرجوننا من هذا البيت؟
- حتى السرايا؟
- نعم يا علي.
- ومن أين ندبر النفقات والمصاريف التي تخصنا؟

- لنا رب اسمه الكريم.
- أنا سأعمل يا أمي وأنفق عليكم .
- لا يا علي وكيف تذهب إلى المدرسة وأنت أصبحت في الابتدائية.
- اطمئني يا أمي سأذهب إلى المدرسة في الصباح، وسأعمل بعد الظهر في أي ورشة في دمياط.
- هل يعمل أصحاب الأصول في الورش يا علي؟
- وكيف سندبر النفقات يا أمي؟
- جدتك لن تتركنا، والعائلة فيها بهوات وباشوات سيساعدوننا بالتأكيد.
- أنعيش على صدقات الناس، لا يا أمي سوف أخرج وأعمل وأساعد على أقدر طاقتي.
- لا يا علي، أبوك كانت أمنية حياته أن تتعلموا حتى المدارس العليا، وأنت بالذات كان يأمل أن تصبح يا علي في أعلى المستويات.
- إن شاء الله سأصل لأعلى الدرجات، لكن من الآن سأصبح رجل البيت.

عمل الطفل في ورشة الموبليا القريبة من منزله، وكان يقضي أوقات الراحة بين الكتب، ويعود في آخر النهار بالأجرة فيعطيها

لأمه، فتحاول أمه أن تعطيه مصروفًا منها، فكان يرفض ويقول إنه يأكل في البيت قبل الذهاب، ويأكل عندما يعود و لا يحتاج إلى مصروف.

وفي يوم اشترى على الجريدة ليعرف منها نتيجة الابتدائية، ففوجئ باسمه يظهر في العناون الرئيسية، فانطلق بكل الفرحة يحمل الجريدة إلى منزله وهو يصرخ:

- يا أهل بيت مشرفة ..... ابنكم حصل على الشهادة الابتدائية .. ابنكم علي مشرفة الثاني على المملكة.

هبطت شقيقته بسرعة واحتضنت أخاها بكل الفرح، هبط شقيقاه الصغيران وأخذا يقبلانه وهما فرحين، استقبلته جدته على السلم في طريقه إلى غرفة أمه:

- نجحت يا جدتي وأصبحت حاصلاً على شهادة الابتدائية، وترتيبي الثاني على المملكة.
- ألف مبروك يا حبيبي، مبروك يا علي.
- سأصعد لأخبر أمي.
- أمك نائمة في غرفتها، وهي بحالة جيدة، أريدك يا علي، أريد الحديث معك.
- نعم يا جدتي؟
- اسمع يا علي، أنا أعرف أن أمك حدثتك عن حالتكم بعد موت أبيك.

- وأنا والحمد لله حصلت على الابتدائية، يعني يمكنني التوظف بها.
- كيف تتوظف يا علي؟ وهل ترضى الحكومة أن توظف أحدًا في مثل سنك؟ عمرك لا يتعدى الاثنى عشر عامًا.
- إذن سأظل في عملي.
- لا يا علي أنا غير موافقة على هذا العمل، يا حبيبي أنتم عائلة كبيرة جدًا، والدك كان عين أعيان دمياط.
- كيف ندبر نفقاتنا؟
- لابد أن يساعدنا أحد على تربيتكم والصرف عليكم.
- مثل من؟
- راجل يا علي.
- أي راجل ؟
- بصراحة أمك ستتزوج يا علي.
- تتزوج وتتركنا؟
- ستعيشون معها في بيت زوجها، الراجل ميسور الحال، والبيت كبير يسع الجميع.
- لا يا جدتي لا.
- يا حبيبي أنت كبرت وحصلت على شهادة الابتدائية، يعني أنت تفهم وتقدر.

- لا يا جدتي أمي لن تتزوج بعد أبي.
- أبوك مات -يرحمه الله-، وظروفكم صعبة.
- سأعمل ليل نهار لأساعدها.
- كيف تساعدها يا علي؟ أنتم خمسة غير أمكم، إخوتك ما زالو صغارًا، و المشوار طويل، لابد من زواج أمك بمن يصرف عليكم و يربيكم.
- لا أمي لن تتزوج.
- بصراحة يا علي رجال العائلة أعطوا للرجل كلمة، ولن ينقضوا كلمتهم.

كانت تلك أصعب لحظة في حياة الطفل، تجرع فيها كأس اليتم بعد موت أبيه، فقد كانت أمه أحب إنسانة له في حياته، وتخيل أنه سيفقدها كما فقد أباه من قبل.

ضاق زوج الأم ذرعًا بالأطفال، لأنه وجد زوجته تقضي جل وقتها في رعاية وخدمة أولادها، و لا يتبقى له سوى النذر اليسير من الاهتمام، فشرط عليها أن تذهب بأولادها إلى أمها في القاهرة في عابدين، إن أرادت أن تستكمل معه حياتها.

قبلت أمها أن تستبقي أولادها عندها، حتى لا تهدم بيتها وخصوصًا أنها حامل من زوجها، قبلت الزوجة على مضض، وودعت أولادها وداعًا حارًا، يومها أحس علي بيتم الأب والأم، وصرح لأخته بالخوف الشديد من المستقبل، وصمم على أن

يصرف على إخوته وعلى أخته من أجل استكمال تعليمهم.

عرفت العائلة بما فعله زوج الأم فندمت على موافقتها بالزواج وقرروا دفع مبلغ شهري لإعانتهم على معايشهم.

مرت الأيام الصعبة ببطء وكأنها تريد أن تطيل زمن العذاب لهذا الفتى الصغير، وأخته التي تشاركه عذابه وهمه، تعبت جدتهم معهم وكأنها تكفر عن ذنب ارتكبته بحقهم.

دق جرس الباب وحين فتح الباب ظهر رجل على فتحة الباب:

- من تريد؟
- أريد علي مصطفى مشرفة.
- لماذا تريده؟
- أنا لا أريده، الوزير هو الذي يريده.
- هل فعل شيئًا مهينًا؟
- لا يا ياسيدتي، أبشري فقد جاء ترتيبه الثاني على المملكة في شهادة البكالوريا، والوزير سيلتقي الأوائل غدًا، وسيأخذ معهم الصور التذكارية وسوف تظهر صورهم في الجرائد الرسمية.
- الحمد لله ... يا علي ...

حصل الفتى على شهادة الثانوية (الكفاءة) من المدرسة السعيدية في القسم الأول من عام ١٩١٢، وعلى القسم الثاني

(البكالوريا) عام ١٩١٤، وكان ترتيبه الثاني على القطر كله، وله من العمر ستة عشر عاما، كان ذلك حدثًا فريدًا في عالم التربية والتعليم في مصر يومئذ.

وقف المتفوقون أمام الوزير ليلقي أمامهم كلمة ترحيبية:

الوزير: أبنائي الأعزاء يسعدني أن أبلغكم بأنكم ستحصلون على المجانية خلال مرحلة التعليم في المدارس العليا، ولقد أصدرت أمرًا بهذا، وأصدرت أمرًا أيضًا بمنحكم مكافأة مالية تشجيعًا لكم على التفوق.

رد الطالب علي مشرفة:

- نشكركم يا معالي الوزير على عطفكم على أبنائكم التلاميذ، ونعاهدكم -إن شاء الله- أن نكون عند حسن ظن الوطن بنا.
- بالمناسبة ماذا نويت أن تدرس يا علي؟ في مدرسة الطب أم مدرسة المهندس خانة؟
- لا هذا و لا ذاك يا معالي الوزير.
- إذن ماذا نويت أن تدرس؟
- مدرسة المعلمين العليا بإذن الله.
- وما سبب اختيارك لمدرسة المعلمين العليا؟
- أولاً إن التعليم كان عمل الأنبياء -عليهم أفضل الصلاة والسلام- وثانيًا لأن المعلم يجد الوظيفة المناسبة بسهولة.

- ربنا يوفقك يا علي المهم أن تحب الدراسة في تخصصك وتظل متفوقًا.
- إن شاء الله يا معالي الوزير أعدك بهذا.

قدم علي المكافاة المالية التي تسلمها إلى جدته، حاولت أن تعطيه شيئًا منها لكي يشتري لنفسه ما يريد فأخبرها أن تشتري لأخوته ملابس جديدة، وأن تدفع لهم مصاريف الدراسة، وأنه سيدخل مسابقة حفظ القرآن الكريم وأنه سيأخذ مكافأة سيشتري منها ما يريد.

وأهله هذا التفوق لاسيما في المواد العلمية للالتحاق بأي مدرسة عليا يختارها مثل الطب أو الهندسة، لكنه فضل الانتساب إلى دار المعلمين العليا، حيث تخرج فيها بعد ثلاث سنوات بالمرتبة الأولى، فاختارته وزارة المعارف العمومية إلى بعثة علمية إلى بريطانيا على نفقتها.

وكما تعود هذا الفتى وفي ظل فرحته ببشرى السفر إلى إنجلترا ماتت أمه و أحس يومها اليتم الكامل،رغم أنه تعود أن يعيش بعيدًا عنها، ولكن لحظات الحزن اختلطت بأحاسيس الفرح، عندما تزوجت أخته نفيسة من تاجر مني فاتورة بالحمزاوي.

بعد زواج أخته وانفصالها في حياتها،عقد علي جلسة مع إخوته:

- استمعوا لقد تخرجت الأول على الدفعة في دبلوم مدرسة المعلمين، وزير المعارف رشحني للسفر في بعثة ليريطانيا

حتى أستكمل دراستي، عندما توافق كلية العلوم الملكية بلندن سوف أسافر إلى لندن فورًا.

- تسافر أنت أيضًا وتتركنا كما تركتنا نفيسة؟
- نعم لكن قبل السفر سوف أرتب أمور دراستكم، سأقدم لعطية وحسن في مدرسة الزقازيق الابتدائية في القسم الداخلي، وابنة عمنا متزوجة هناك، ووعدتني إنها سترعى مصالحكم، أما أنت يا مصطفى سوف أقدم لك في مدرسة المساعي المشكورة الثانوية في شبين الكوم في القسم الداخلي أيضًا.
- دعك من شئوننا، ركز أنت في ترتيبات سفرك لبريطانيا العظمى حتى تعود لنا- إن شاء الله- دكتور كبير.
- يا عيني وبعد العذاب والضنى سيصبح في عائلة مشرفة دكتور
- لا يا جماعة دكتور واحد فقط لا يكفي.
- هل تنوي أن تجعل كل العائلة دكاترة؟
- ولم لا ..؟ كل الأشياء العظيمة تبدأ بحلم، لو حلمتم أن تصبحوا أساتذة حاصلين على الدكتوراة، ستصبحوا أساتذة.
- يا عم علي نحن نعيش على الكفاف.
- ولو يا مصطفى رغم كل شيء من يصمم على حلمه سوف يحققه.

التحق عام ١٩٢٠ بالكلية الملكية فى لندن، وحصل منها عام

١٩٢٣ على الدكتوراة في فلسفة العلوم بإشراف العالم الفيزيائي الشهير تشارلس توماس ويلسون الحاصل على جائزة نوبل في العلوم.

بعد ثلاثة شهور من وصوله إلى لندن توفيت جدته فصمم على العودة إلى مصر لإشفاقه على إخوته، بعث له زوج أخته خطابًا طمأنه فيه على إخوته وطلب منه الجد والاجتهاد من أجل الحصول على الدكتوراة في أقرب وقت، وبالفعل حصل عليها عام ١٩٢٤ علي دكتوراة العلوم من جامعة لندن وهي أعلي درجة علمية.

وأثناء اشتعال ثورة ١٩١٩ بقيادة سعد زغلول، كتب إلى صديقه محمود فهمي النقراشي -أحد زعماء الثورة- يخبره فيها برغبته الرجوع إلى مصر للمشاركة في الثورة، وكان جواب النقراشي له: «نحن نحتاج إليك عالما أكثر مما نحتاج إليك ثائرًا، أكمل دراستك ويمكنك أن تخدم مصر في جامعات إنجلترا أكثر مما تخدمها في شوارع مصر».

بدأت أبحاث الدكتور علي مشرفة تأخذ مكانها في الدوريات العلمية، وكان على اتصال دائم ببحوثه العلمية فاستطاع أن يواصل ما بدأ من بحث جاد، ظهرت نتائجه فى البحوث التي نشرها فى الدوريات العالمية سنة ١٩٢٩م عن حركة الإلكترون كظاهرة موجبة وعن ميكانيكية الموجات والمفهوم المزدوج للمادة والإشعاع.

لم يكن هذا إلا تمهيدًا للبحث اللامع الذي نشره مشرفة سنة ١٩٣٢م، فانتشرت معه سمعته فى جميع الأوساط وصار ذكره مع كل لسان،وهذا البحث بعنوان: هل يمكن اعتبار الإشعاع والمادة صورتين لحالة كونية واحدة؟

وأضاف د.مشرفة نظريات جديدة في تفسير الإشعاع الصادر من الشمس، إلا أن نظرية الدكتور مشرفة في الإشعاع والسرعة عدت من أهم نظرياته وسببًا في شهرته وعالميته، حيث أثبت الدكتور مشرفة أن المادة إشعاع في أصلها، ويمكن اعتبارهما صورتين لشيء واحد يتحول أحدها للآخر، ولقد مهدت هذه النظرية العالم ليحول الذرة إلى مواد إشعاعية.

وكان الدكتور «مشرفة» أحد القلائل الذين عرفوا سر تفتت الذرة،وأحد العلماء الذين حاربوا استخدامها في الحرب، بل كان أول من أضاف فكرة جديدة وهي أن الهيدروجين يمكن أن تصنع منه مثل هذه القنبلة، إلا أنه لم يكن يتمنى أن تصنع القنبلة الهيدروجينية، وهو ما حدث بعد وفاته بسنوات في الولايات المتحدة وروسيا..

بدأت أبحاثه تأخذ مكانها في الدوريات العلمية، وكان لم يتجاوز ٢٥ عامًا، حيث تم نشر أول بحثين له في عام ١٩٢٢ وهما البحثان اللذان نال عليهما درجة دكتوراة فلسفة العلوم، وفي عام ١٩٢٣م قدم د. مشرفة ٧ أبحاث حول تطبيق فروض وقواعد

ميكانيكا الكم على تأثير زيمان وتأثير شتارك ومن خلال تلك الأبحاث حصل على درجة دكتوراة العلوم.

تقدر أبحاث الدكتور «علي مشرفة» المتميزة في نظريات الكم، الذرة والإشعاع، الميكانيكا والديناميكا بنحو خمسة عشر بحثًا.. وقد بلغت مسودات أبحاثه العلمية قبل وفاته إلى حوالي مائتين.. ولعل الدكتور كان ينوي جمعها ليحصل بها على جائزة نوبل في العلوم الرياضية.

والجدير بالذكر أن كلية العلوم عندما أصبح عميدها تمتعت بشهرة عالمية واسعة، حيث عني عناية تامة بالبحث العلمي وإمكاناته، فوفر كل الفرص المتاحة للباحثين الشباب لإتمام بحوثهم، و وصل به الاهتمام إلى مراسلة أعضاء البعثات الخارجية.

كما سمح لأول مرة بدخول الطلبة العرب الكلية، حيث كان يرى أن القيود القومية والفواصل الجنسية ما هي إلا حبال الشيطان يبث بها العداوة والبغضاء بين القلوب المتآلفة.

دافع عن حق سميرة موسي في التعيين كأول معيدة امرأة في كلية العلوم، وهدد بتقديم استقالته لو لم يتم التعيين، فتم التعيين وأصبحت سميرة موسي بعد ذلك عالمة ذرة لم تنجب مصر مثلها، وكان ينتظرها مستقبل باهر لولا حادث مصرعها الغامض في أمريكا عام ١٩٥٢.

يقول المؤرخون:

- إن الدكتور مشرفة أرسى قواعد جامعية راقية، حافظ فيها على استقلالها وأعطى للدرس حصانته وألغى الاستثناءات بكل صورها، وكان يقول: «إن مبدأ تكافؤ الفرص هو المقياس الدقيق الذي يرتضيه ضميري».

حول الدراسة في الرياضة البحتة باللغة العربية، وصنف قاموسًا لمفردات الكلمات العلمية من الإنجليزية إلى العربية.

نُشر للدكتور مشرفة ما يقرب من ثلاثين مقالاً منها:سياحة في فضاء العالمين، والعلم والصوفية، واللغة العربية كأداة علمية، واصطدام حضارتين، ومقام الإنسان في الكون .

ومن ناحية أخرى كان د.مشرفة حافظًا للشعر، ملمًا بقواعد اللغة العربية، عضوًا بالمجمع المصري للثقافة العلمية باللغة العربية، حيث ترجم مباحث كثيرة إلى اللغة العربية .كما كان يحرص على حضور المناقشات والمؤتمرات والمناظرات، وله مناظرة شهيرة مع الدكتور طه حسين حول أيهما أنفع للمجتمع الآداب أم العلوم؟.

وكان الدكتور مشرفة عازفًا بارعًا على الكمان والبيانو،مغرمًا بموسيقى جلبرت وسلفن، وكون الجمعية المصرية لهواة الموسيقى في سنة ١٩٤٥، وكان من أغراضها العمل على تذليل الصعوبات التي تحول دون استخدام النغمات العربية في التأليف الحديث.

وكان من أهم الأقوال التي يرددها الدكتور مشرفة: لقد شهدت

البشرية نشأة حضارات عديدة وازدهارها على سطح الأرض، لكن قليلاً من تلك الحضارات هي التي استمرت وبقيت.

ومن ثم فلا بد أن نسأل أنفسنا عن سبب ذلك، لقد فكرت في ذلك كثيرًا ووجدت أن نبوغ مجموعة كبيرة من مواطني مجتمع ما كفيل بقيام حضارة مع وجود العوامل الأخرى المساعدة في قيام الحضارة.

لكن اهتمام هذه المجموعة ببناء جيل يكمل بعدها المسيرة كفيل باستمرار حضارة تلك الشعوب، لكن إن لم تهتم هذه المجموعة ببناء جيل جديد سوف تنتهي تلك الحضارة، وسوف تندثر وتزول بمرور الأيام، أعتقد أنني الآن أجبت عن سؤال يدور في عقل الكثيرين، وهو لماذا بقيت الحضارة المصرية شامخة حتى الآن ؟ واندثرت غيرها من الحضارات ؟.

من أقواله المذهلة أيضًا هو تنبؤه في ثلاثينيات القرن الماضي أن مصادر الطاقة الحالية سوف تنفد ولابد من التوجه إلي مصادر طاقة بديلة مثل الطاقة الشمسية، ورأى أيضًا أنه لابد لمصر من تصنيع قنبلة ذرية لأن هذا سيمثل أداة ردع فعالة للقوى الأخرى التي تمتلك أسلحة نووية.

كان الدكتور مشرفة من المؤمنين بأهمية دور العلم في تقدم الأمم، وذلك بانتشاره بين جميع طوائف الشعب حتى وإن لم يتخصصوا به، لذلك كان اهتمامه منصبا على وضع كتب تلخص

وتشرح مبادئ تلك العلوم المعقدة للمواطن العادي البسيط، كي يتمكن من فهمها والتحاور حولها مثل أي من المواضيع الأخرى.

كان يذكر ذلك باستمرار في مقدمات كتبه، والتي كانت تشرح الألغاز العلمية المعقدة ببساطة ووضوح حتى يفهمها جميع الناس حتى من غير المتخصصين.

«خير للكلية أن تخرج عالمًا واحدًا كاملاً.. من أن تخرج كثيرين أنصاف علماء» هكذا كان يؤمن الدكتور مشرفة، وكان كفاحه المتواصل من أجل خلق روح علمية خيرة..

يقول في سلسلة محاضراته الإذاعية(أحاديث العلماء): «هذه العقلية العلمية تعوزنا اليوم في معالجة كثير من أمورنا، وإنما تكمن الصعوبة في اكتسابها والدرج عليها.. فالعقلية العلمية تتميز بشيئين أساسيين: الخبرة المباشرة، والتفكير المنطقي الصحيح» ولقد نادي بأفكاره هذه في كثير من مقالاته ومحاضراته في الإذاعة: مثل: كيف يحل العالم مشكلة الفقر؟ – العلم والأخلاق – العلم والمال – العلم والاقتصاد - العلم والاجتماع.. وغيرها.

كان ينادي دائمًا أن على العلماء تبسيط كل جديد للمواطن العادي حتى يكون على إحاطة كاملة بما يحدث من تطور علمي..

يوجه كلامه إلى العلماء قائلاً: «ومن الأمور التي تؤخذ على العلماء أنهم لا يحسنون صناعة الكلام؛ ذلك أنهم يتوخون عادة الدقة في التعبير، ويفضلون أن يبتعدوا عن طرائق البديع والبيان،

إلا أن العلوم إذا فهمت على حقيقتها ليست في حاجة إلى ثوب من زخرف القول ليكسبها رونقًا؛ فالعلوم لها سحرها، وقصة العلم قصة رائعة تأخذ بمجامع القلوب؛ لأنها قصة واقعية حوادثها ليست من نسج الخيال».

فبسط الدكتور مشرفة كتبًا عديدة منها: النظرية النسبية - الذرة والقنابل - نحن والعلم - العلم والحياة.

كان من أهم كتبه: الميكانيكا العلمية والنظرية ١٩٣٧، الهندسة الوصفية، ١٩٣٧، مطالعات علمية ١٩٤٣، الهندسة المستوية والفراغية ١٩٤٤، حساب المثلثات المستوية ١٩٤٤، الذرة والقنابل الذرية ١٩٤٥، العلم والحياة ١٩٤٦، الهندسة وحساب المثلثات ١٩٤٧، نحن والعلم ١٩٤٥، النظرية النسبية الخاصة ١٩٤٣.

واهتم خاصة بمجال الذرة والإشعاع وكان يقول: «إن الحكومة التي تهمل دراسة الذرة إنما تهمل الدفاع عن وطنها». .

ثقافتنا في نظر الدكتور مشرفة هي الثقافة الأصلية التي لا بد أن نقف عندها طويلاً. ويرى أنه لا يزدهر حاضر أمة تهمل دراسة ماضيها، وأنه لا بد من الوقوف عند نوابغ الإسلام والعرب، ونكون أدرى الناس بها.. فساهم بذلك في إحياء الكتب القديمة و إظهارها للقارئ العربي مثل: كتاب الخوارزمي في الجبر والفارابي في الطب والحسن ابن الهيثم في الرياضة.. وغيرها.

وكان الدكتور مشرفة ينظر إلى الأستاذية على أنها لا تقتصر

على العلم فقط، و إنما توجب الاتصال بالحياة.. وأن الأستاذ يجب أن يكون ذا أثر فعال في توجيه الرأي العام في الأحداث الكبرى التي تمر بالبلاد، وأن يحافظ على حرية الرأي عند المواطنين، وآمن الدكتور مشرفة بأن «العلم في خدمة الإنسان دائمًا وأن خير وسيلة لاتقاء العدو أن تكون قادرًا على رده بمثله.. فالمقدرة العلمية والفنية قد صارتا كل شيء.. ولو أن الألمان توصلوا إلى صنع القنبلة الذرية قبل الحلفاء لتغيرت نتيجة الحرب.. وهو تنوير علمي للأمة يعتمد عليه المواطن المدني والحربي معًا».

كان يحرص على حضور المناقشات والمؤتمرات والمناظرات، وله مناظرة شهيرة مع د/ طه حسين حول: أيهما أنفع للمجتمع الآداب أم العلوم». نشر للدكتور مشرفة ما يقرب من ثلاثين مقالاً منها: سياحة في فضاء العالمين - العلم والصوفية - اللغة العربية كأداة علمية - اصطدام حضارتين- مقام الإنسان في الكون..

شارك الدكتور علي في مشاريع مصرية عديدة تشجيعًا للصناعات الوطنية.. كما شارك في إنشاء جماعة الطفولة المشردة.. كان أول من لقن من حوله دروسًا في آداب الحديث و إدارة الجلسات.

كوّن لجنة لترجمة «الأوبرتات الأجنبية» إلى اللغة العربية.. وكتب كتابًا في الموسيقى المصرية توصل فيه إلى أن جميع النغمات الأخرى في السلم الموسيقي غير السيكا والعراق يمكن

إلغاؤها أو الاستغناء عنها.

كان الدكتور مشرفة يعزف لزواره على البيانو مقطوعات من الموسيقى العالمية، وكان يجيد العزف على أكثر من آلة موسيقية.

لا أصدق أن مشرفة قد مات، إنه مايزال حيًا من خلال أبحاثه، هكذا نعى آينشتاين تلميذه ومساعده الأول الدكتور علي مصطفى مشرفة عندما علم بوفاته.

زار النقراشي باشا على مصطفى مشرفة في بيته زيارة مفاجئة، وكانت العلاقات فاترة بسبب تعيين آخر لرئاسة جامعة القاهرة بسبب بغض الملك له.

- أهلاً دولة الرئيس.
- أهلاً يا دكتور.
- تفضل.
- أعرف أنك غاضب عليّ، لكن أقسم لك إني ليس لدي أي دخل بالذي يحدث لك.
- يا نقراشي باشا أنت رئيس الوزراء، يعني الحاكم الفعلي للبلاد، والملك لا يمضي أي قرار إلا بعد الرجوع لدولتك.
- كل الناس تفهم الموضوع بنفس الطريقة، لكن الحقيقة شيء آخر للأسف.
- ما الحقيقة؟

- الملك من يوم أن أزال الوفد، وهو يعتبر نفسه الحاكم الفعلي، ويتدخل في كل صغيرة وكبيرة، يأخذ قرارات في منتهى الخطورة وبدون الرجوع إلى أحد، لولا خوفي من حدوث مشكلة في ظروف الحرب التي تمر بها البلاد، لتركت الوزارة كلها وأرحت نفسي من هذا الحمل.
- يا باشا ما حصل قد حصل، وأنا لا أطلب منك تغييره، ليس هذا فقط، ميعاد تجديد العمادة لكلية العلوم ميعاده هذا الشهر، وأنا أتوقع عدم تجديده، ليس لدي مانع يا باشا أن أترك البلد كلها وأغادرها لو كان هذا يريحكم.
- رغم انفعالك هذا، لكني أقدر ظروفك، نحن يا دكتور رغم كل شيء أصدقاء قدامى، وعمومًا يا سيدي:اطمئن قرار تعيين سيادتكم في العمادة، أصدرته اليوم وهذا صورة منه.
- أتمنى ألا يلغى مثل قرار سفري لأمريكا، هذا ليس من أجلي، حتى لا يذهب المجهود الذي أبذله مع أولادنا في كلية العلوم سدى.
- لن يلغى إن شاء الله، يا دكتور علي نحن أصدقاء من زمن بعيد، وأنت الوحيد، الذي لا يمكنني أن أستغني عن صداقته أبدًا.
- أرجو هذا.

في نفس الوقت كان هناك من يبحث وراء الدكتور علي:

- عرفت آخر الآخبار دكتور سميث.

- أخبار دكتور مشرفة؟
- تلقى دعوتين واحدة من مؤتمر الاتحاد الدولي للفلك في زيورخ، وواحدة من المؤتمر الدولي لعلم قياس الأرض وعلم الطبيعة الأرضية في النرويج.
- نشكر الله أنه لم يذهب لمؤتمر الذرة الذي صدعت به رؤوسنا، مستر تشاولي ألاحظ أنك مستقر هنا في مصر، ولم تسافر مع بقية إخوانك إلى أرض الميعاد .. هل يمكنني أن أعرف لماذا؟
- لا تعليق.
- سأسألك سؤالاً ثانيًا وأرجو أن تكون صادقًا معي، بما أنك حامل جنسية بريطانية، هل تتحرك لصالح بريطانيا العظمى كما تقول أم ماذا؟
- دكتور سميث على أن أذهب الآن، لدي الكثير من العمل.

ردد الدكتور سميث بعد خروج مستر تشاولي بغيظ: رجل خطير جدًا.

سافر الدكتور علي إلى النرويج واستغل الفرصة بناء على نصيحة زوجته، وزار أحد الأطباء في زيورخ فأخبره الطبيب: إنه يجهد نفسه، وإنه عصبي وإنه يعاني من التوتر من فترة طويلة، حالة القلب بعد ما تحسنت من آخر مرة رأيتك فيها، فيه عامل جديد أضعف عضلة القلب، لابد أن تتبع الدواء بدقة، ونظام

غذائي صارم، وأن تتجنب كل الانفعالات، وألا تجهد نفسك.

كان الدكتور مشرفة يعاني من عقدة قديمة، وهي وفاة والده وترك أمه وحيدة في مواجهةقسوة الحياة، وكثيرًا ما كان ينطر إلى صورة ابنته الصغيرة ويتساءل هل يعيش ليزوجها أو أنه سيترك الدنيا لتواجه هي وأمها الحياة بدونه.

طلب الملك لقاء النقراشي لأمر يخص الدكتور مشرفة، ظن النقراشي أنه سيحدثه عن الإخوان المسلمين ولكن فاجأه بقوله:

- لا يا باشا لم أرسل لك من أجل موضوع الإخوان المسلمين إنما أرسلت في طلبك من أجل مشرفة.
- ماذا فعل مشرفة سعادتك؟
- دولتك جددت له مدة جديدة في العمادة، وبعثته أوروبا في مؤتمرين، ما الحكاية ياباشا؟ هل تتحداني ؟
- العفو يا صاحب الجلالة، لكن أنا لا أتصور أن عدم رضاك عن مشرفة معناه أن نحرمه من المناصب و من تمثيل مصر في المؤتمرات العلمية التي تطلبه بالاسم.
- هذا معناه ذلك وأكثر.
- لماذا؟
- لأنه كل يوم يثبت لي أنه مغرور، سعادته لم يكتف أنه لم يحضر ليشكرني على منحه الباشوية، بل إنه يردد في كل مجالسه أن نظامي في طريقه للانتهاء، وأن حادث ٤ فبراير أنا

السبب فيه وأني لو لم أكن عاندت الإنجليز ورفضت تكليف الوفد بتشكيل الحكومة، لما اقتحم الإنجليز قصر عابدين، وأرغموني بتكليف النحاس بالوزارة.

- مولاي أرجوك.
- سعادته أصبح محللاً سياسيًا، وكل تحليلاته السياسية تؤدي لنتيجة واحدة، إن عهدي هو بداية النهاية لحكم أسرة محمد علي.
- يا مولاي.
- من شدة غروره لم يفكر رغم كل الضربات التي وجهتها له أن يعتذر أو يوسط حد.
- يا مولاي أرجوك، مشرفة هذا راجل بسيط جدًا ولا يمكن أن يقصد التعالي على جلالتك.
- لا إنه يقصد وأنا سوف أعلمه كيف يتعامل مع الملوك؟ اسمع يا باشا أنا سمعت أنه مرشح بقوة للحصول على جائزة فؤاد الأول في مجال العلوم، بلغ المسئولين عن الجائزة أني أحذرهم من فوز مشرفة، ولو رشحوه سألغي الجائزة كلها.
- مولاي أرجوك.
- انتهى الأمر، كلمني عن الإخوان ..

عندما أبلغه أحد أصدقائه بأن جائزة الملك فؤاد في مجال العلوم ذهبت لغيره، ثار عندما علم بأنها أوامر الملك وقال لصديقه

في جرأة، طز في جلالته، وبعد خروج الضيف أصابته نوبة قلبية حادة، حذره الطبيب بعدها بأنها إنذار له بالابتعاد عن العصبية والتوتر، وأن يغير غرفة نومه إلى الدور الأرضي.

في سنة ١٩٤٩ نظم الدكتور علي مع مساعدته سميرة موسى معرض عن الطاقة الذرية في جامعة القاهرة بالاستراك مع جمعية علماء الذرة الإنجليز، بدأ الدكتور مشرفة بقوله:

من حسن الحظ أن احنا بننظم معرضنا عن الطاقة الذرية في مارس ٤٩ ودا نفس الشهر اللي رجع فيه الجيش المصري مهزوما من فلسطين برغم من انتصاراته الكبيرة اللي ابتدا بيها الحرب، المعرض دا في التوقيت له معنى كبير، رسالة إلى الكيان الصهيوني، إذا كان العرب خسروا معركة فالحرب بينهم وبين الكيان الصهيوني لسة مستمرة.

في الكلمة الافتتاحية لمعرض الطاقة الذرية قال مشرفة:

أرجو أن يكون هذا المعرض حافزًا لنا للتفكير الجاد لدخول عصر الذرة، إن الذرة هي أملنا في المستقبل، أملنا لتوليد الطاقة، لعلاج المرضى، لاستخدامات سلمية لا حدود لها، كما أن الدولة التي يكون علماؤها على دراية بعلوم الذرة، تستطيع أن تحمي نفسها من أي عدوان أو تهديد، وسيحسب لها الجميع ألف حساب، إن القنبلة الذرية التي فجرتها أمريكا على اليابان ليست نهاية المطاف ولكنها البداية وسيشهد العالم في كل يوم، تطورًا

واستخداما لها في كل المجالات، العالم الآن يبدأ عصر الذرة فلنبدأ معه إذا أردنا أن نمتلك المستقبل.

زاره مكرم عبيد في أحد الأمسيات وتطرق الحديث بينهما إلى جوانب متعددة:

مكرم: يا دكتور على كلامك المكرر عن الذرة يغضب الناس عليك.

- أي ناس ؟
- الملك بالتحديد يعتبر أنك تحرجه بكلامك هذا.
- كيف أحرجه ؟
- تظهره أمام الشعب إنه مقصر.
- بسيطة يمكن أن يصبح غير مقصر، يعلن أنه سيتبنى بحوث استخدام الذرة في الأغراض السلمية و سيتحول إلى بطل قومي ليس اليوم فقط، بل على مر التاريخ.
- يعني أنت تقصد أن تفرض عليه ما تريده.
- مكرم باشا هل هناك عالم يمكنه أن يفرض رأيه على حاكم؟، أنا لا أملك إلا كلمتي ومن حقي أن أقولها و هو أيضًا من حقه أنه يأخذ بها أو يرفضها.
- ما رأيك في تأجيل الكلام في موضوع الذرة هذه الأيام؟
- مكرم باشا .. هل أتيت لتتحدث في هذا الموضوع معي

بالصدفة أو أنها رسالة رسمية.

- لا يا سيدي هذه رسالة غير رسمية، بعض السياسيين المقربين للقصر يعرفون العلاقة القوية التي تربطنا، فطلبوا مني أن أكلمك.
- وطبعًا سوف ترد عليهم.
- ليس شرطًا.
- أنا أتمنى عليك أن ترد عليهم، قل لهم إن الدكتور مشرفة لن يسكت.
- هل يعني هذا أنك تعاند الملك؟
- إطلاقًا.
- إذن ماذا يعني هذا الكلام؟
- يا مكرم أنا لن أعيش بقدر ما عشت، لهذا ومن الآن لن أقول غير ما أومن به وفيه مصلحة للبلد.
- حتى لو كان الملك يعتبر هذا الكلام تحديًا له.
- نعم .. حتى لو كان الملك يعتبر هذا الكلام تحديًا له.
- جميل يا دكتور لكن ستتحمل النتائج، اسمع هذا الخبر، أنت للأسف لن تحصل على جائزة فؤاد الأول في مجال العلوم هذه السنة أيضًا.
- ليس مهمًا، رغم أني أحتاج المكافأة المالية هذه السنة جدًا،

لكن الأرزاق على الله، وسأواصل كلامي عن الذرة و سأحضر عنها سلسلة أحاديث في الإذاعة.

واصل الدكتور مشرفة حملته عن الطاقة النووية:

إني أدعو أولي الأمر في مصر، إلى الاهتمام بأمور الطاقة الذرية والإسراع في تأليف لجنة

قومية محدودة العدد من العلماء المصريين المتخصصين في هذا المجال حتى لا تضيع عليهم فرصة اللحاق بالسباق العلمي الذي يدور الآن بين دول العالم المتقدم، من أجل استخدام هذه الطاقة الهائلة في السلم والحرب، إن معدن اليورانيوم موجود في صحراء مصر الشرقية على ساحل البحر الأحمر وواجبنا أن ننقب عنه ونستخرجه، إن الجرام الواحد من هذه المادة يعادل ألفي طن من الوقود، فماذا نحن فاعلون؟

إننا يجب أن نصنع القنابل الذرية لا لنعتدي بها، ولكن لندافع بها عن وطننا إزاء الدول المعتدية علينا، إن اقتناءنا لهذه القنبلة كاف لرد العدوان عنا، لأن الدول المعتدية تعرف أن ما تستطيع أنه تفعله بمصر يمكن لمصر أن تفعله بها، فالحكومة التي تهمل في دراسة الذرة إنما تهمل في الدفاع عن وطنها.

باتت ظروف وفاة د. مشرفة المفاجئة غامضة للغاية، وكانت كل الظروف المحيطة به تشير إلى أنه مات مقتولاً إما على يد مندوب عن الملك فاروق، أو على يد الصهيونية العالمية، ولكل

منهما أسبابه.

قد يكون للنظام الملكي المصري في ذلك الوقت دور في قتله، خاصة إذا علمنا أن د. مشرفة قام بتشكيل جماعة تحت اسم «شباب مصر»، كانت تضم عددًا كبيرًا من المثقفين والعلماء والطلاب، وكانت تهدف لإقصاء نظام فاروق الملكي وإعلان مصر جمهورية عربية مستقلة.

ذاع أمر هذه الجماعة السرية ووصلت أخبارها إلى القصر الملكي، مما يعطي للقصر مبررًا للتخلص من د. مصطفى.

أما الصهيونية العالمية فيكفي أن نقول إن نظرتهم للطالبة النابغة د. سميرة موسى لن تختلف عن نظرتهم لأستاذها الأكثر نبوغًا د. مصطفى مشرفة، ولعبت الصهيونية لعبتها القذرة وهي التصفية الجسدية.

كانت وجهة نظر واحدة تعني التخلص منهما ومن أمثالهما ولهذا فمن الواضح أن وجهة النظر القائلة بأن الصهيونية هي من تقف وراء نوم د.مشرفة الأبدي هي الأقوى لأن هذه الحالة ليست الوحيدة التي يقوم بها أعداء العرب عمومًا.

سواء أكان هذا أم ذاك؟ فقد خسرت مصر ثروة، عالمًا حقيقيًا كان هدفه الأول والأخير هو خدمة بلاده التي لم تقف إلى جانبه،ولذا لم يبق فى أيدينا شيء إلا أن نقول وداعًا د.على مصطفى مشرفة إنا لفراقك لمحزونون.

كتكريم له أنشأت حكومة بريطانيا منحة تعليمية لدراسة الدكتوراة تحت اسم منحة نيوتن-مشرفة للدكتوراة في المملكة المتحدة.

❖ ❖ ❖

علم يقتل صاحبه

بينما كان أحد سكان العمارة رقم (٢٠) بشارع طيبة بالإسكندرية يفكر في مصدر رائحة الغاز التي انتشرت في العقار، نادى على البواب وسأله بانزعاج:

- أبو حجاج ... أبو حجاج ... هناك رائحة غاز شديدة تنبعث من أحد الشقق..
- نعم يا أستاذ حنا أشمها، لكن لا أعرف مصدرها... ربما تكون في أحد الأدوار العليا...
- حاول بسرعة أن تعرف مصدر الغاز، ولو ضربت جرس كل شقة .. لأنها يمكن أن تشعل العقار كله ... بسرعة يا أبا حجاج..
- حاضر يا أستاذ حنا ... هحاول وربنا يسترها..

سمع صوت ارتطام شديد بأرض الشارع، أسرع الساكن والبواب إلى الشارع، ليريا مشهدًا مروعًا؛ جثة شخص في الأربعينات ملقاة على الأرض والدماء تنزف من رأسه.

- إلحق يا أستاذ حنا... دي جثة الساكن الجديد.. معرفشي صاحبها ..
- يا دي المصيبة .. الحق يا أبا حجاج اتصل بالإسعاف والشرطة والمطافي ييجوا يشوفوا البلوى اللي اتحدفت علينا .. بسرعة

يا أبا حجاج لنروح فيها.

يسرع الرجل للاتصال تلفونيًا بشرطة النجدة، التي وصلت في الحال لمكان الحادث، وبدأوا في سؤال سكان العمارة والشارع أيضا عن شخصية القتيل ولكن أحد لم يجب فقد كان القتيل غريبًا عن الحي كله.

- اكتب أيها الرقيب عثر على جثته ملقاة من أعلى عمارة في شارع طيبة في كامب شيزار فيما يبدو أنه انتحار، سقطت أمام مدخل العمارة، دون أن يتعرف عليه أحد فى البداية.
- الجثة لرجل في الأربعينيات من عمره، مقطوع الشريان، وملقى من الدور الرابع، وعندما صعدنا إلى الشقة كانت رائحة الغاز تملأ المكان.
- صدر البلاغ إلى قسم شرطة شرق في الإسكندرية، واكتب لا أحد كان يعرف من ذلك الفتى الأسمر، فارع الطول، والذي يرتدي على الدوام نظارته الطبية، الشاب الخجول المنطوي على نفسه، والذي لا يتحدث مع أحد، و لا يتردد عليه أحد في الشقة التي يعيش فيها بمفرده بعيدًا عن أسرته.
- وجدنا الغاز مفتوحًا في شقته وكأنه أراد الانتحار بالغاز، وعندما فشل ألقى بنفسه من العمارة.
- كذلك وجدنا وريد يده مقطوعًا أيضًا، فكأنه أراد الانتحار بطرق الموت كافة.

تسلم القضية وكيل نيابة نابه رغم صغره، له صبر يفل الحديد، وذاكرة حديدية تسع تفصيلات، تملأ أكثر من كتاب، شديد الحذر عند تناول المعلومة.

له قدرة عجيبة على ربط الجزيئات التي تبدو متنافرة، يتعامل معها في أناة وصبر، وينسج منها موضوعًا متكاملاً لا يمكن أن تجد فيه ثغرة واحدة.

درس وكيل النيابة القضية من بدايتها، وبدأ بسرد ملاحظاته إلى كاتب النيابة:

- المجني عليه هو ابن فنان عظيم، ولد في عام ١٩٤٩، وقتل في عام١٩٨٩م، قُتِلَ ولم يتعد عمره الأربعين.
- فرح به والده الفنان ليس لأنه كان آخر العنقود فحسب، بل لأنه في سنواته الأولى بدا فائق الذكاء، وكلما كبر ازداد ذكاءً، حتى إن أصدقاءه في المدرسة الثانوية قالوا عنه إنه كتلة من الذكاء تمشي على الأرض.
- في الثانوية العامة كان الثاني على مستوى الجمهورية بمجموع خمسة وتسعين في المائة، واختار الكلية الفنية العسكرية التي تخرج الضباط المهندسين، واجتاز اختباراتها بسهولة.
- ظل الخط البياني له في ارتفاع حتى أصبح معيدًا في الكلية الفنية العسكرية عام ١٩٧٢، ثم مدرسًا مساعدًا في الكلية نفسها، ثم مدرسًا فيها عام ١٩٨١.
- توالت إنجازاته العلمية، وتحول من مدرس بالفنية العسكرية

إلى رئيس قسم الموجات والهوائيات في إدارة البحوث والتطويرات في قيادة القوات الجوية.

- سافر الضحية بعد إنهاء خدمته لاستكمال أبحاثه في ألمانيا بعد أن تعاقد مع جامعة ديزبورج، مع وعد منه بأن يرسل لمصر نتيجة أبحاثه أولاً بأول، قبل أي دولة في العالم.
- بدأت مخاوف الأجهزة المخابراتية التابعة للدول غير الصديقة تصل إلى حد الرعب، خصوصًا أن لمساته بدأت تظهر في الطيران الشرقي وتزيده تطويرًا بعدما كان سيتم الاستغناء عنه في مصر وبعض الدول العربية.
- وصل إلى رتبة عقيد طيار، وأحيل إلى التقاعد برتبة عميد طيار بالمعاش، بناء على طلبه، بعد أن حصل على درجة الدكتوراة من إنجلترا.
- عمل كأستاذ زائر في جامعة دويسبرغ في ألمانيا الغربية، في أبحاث الأقمار الصناعية وتعاقد معها لإجراء أبحاثه طوال عامين.
- تحول الفتى بسرعة إلى اسم لامع في المحافل الدولية، وأكمل تعليمه العالي وحصد دكتوراة في هندسة الإلكترونيات من جامعة (كنت) في إنكلترا.
- استمر في مواصلة أبحاثه، حتى صنف من بين ثلاثة عشر عالمًا على مستوى العالم في الميكروويف، كان ترتيبه الثالث.
- أجرى في ألمانيا تجارب علمية على مشروع خاص باسم ٢٥٤، يتعلّق بالهوائيات والاتصال بالفضاء وإمكان التشويش

على سفن الفضاء الأميركية.

- عرضت عليه وكالة ناسا الأميركية العمل هناك مقابل مبلغ خيالي والجنسية الأميركية، لكنه رفض حبًا في مصر.
- نشرت أبحاثه في جميع دول العالم حتى اتفق معه باحثان أمريكيان في أكتوبرعام ١٩٨٨م لإجراء أبحاث معهما عقب انتهاء تعاقده مع الجامعة الألمانية، وهنا تضايق باحثو الجامعة الألمانية وبدأوا بالتحرش به ومضايقته حتى يلغي فكرة التعاقد مع الأمريكيين.
- أكدت زوجته أن دكتور سعيد رفض تخصيص أبحاثه لصالح بعض الجهات الأجنبية التى استخدمت معه كافة السبل لإغرائه لكنه رفض وخص مصر بأبحاثه جميعها.
- ذكرت زوجته أنهم كانوا يستيقظون على أصوات غريبة تضيء الأنوار، فيجدون الصور المعلقة وقد انتقلت من مواضعها على الحائط ومعلقة فى مكان غير مكانها الأصلى.
- فى أحد الأيام بينما كان الفتى يعبر أحد الشوارع في ألمانيا كادت سيارة مسرعة أن تدهسه وتوالت المكالمات الهاتفية على المنزل ومضمونها الرضوخ أو التصفية!!
- بدأت المخابرات الأميركية تهدده بطريقة غير مباشرة، مثل محاولة قتل ولده تارة، وزوجته طورًا، وهنا أحس سعيد بالخطر، فأرسل زوجته وولديه إلى مصر، ثم أرسل خطابا

إلى أكبر سلطة في مصر يطلب حمايته، ولما ازداد التهديد والخطر قرر أن يعود إلى الوطن.

- تلقى سعيد اتصالاً من السلطات في القاهرة تطلب منه عودته فورًا الى أرض الوطن، قرر العودة الى مصر وأرسل بخطاب إلى الرئاسة المصرية يطلب حمايته وفى طريقه الى المطار وعند صعوده الى الطائرة حاولت المخابرات الألمانية منعه من السفر ولكن كان لكابتن الطائرة التابعة لشركة مصر للطيران موقف نبيل وقال لهم إن لمصر سيادتها والطائرة جزء من أرض مصر.
- بعد عودته إلى القاهرة عام ١٩٨٨، وكي يبعد الأنظار عنه قرر أن يفتتح مصنعًا للإلكترونيات لمجرد صرف نظر المخابرات المعادية عنه.
- أعلن عن هذا المصنع، وطلب شركاء ومساهمين، وانهالت عليه العروض من جميع أنحاء العالم، وكان أهمها عرض من ألمانيا.
- اتصل بشقيقه سامح وطلب منه مفتاح شقة الإسكندرية حتى يستكمل بحثه الهام وطلب من شقيقه رعاية زوجته وطفليه الصغيرين.
- لكن يبدو أنه كان هناك من لا يرغب في إتمام هذا البحث الهام وقرر التخلص من العالم العبقري .

- لقي حتفه للأسف على أرض مصر التي كانت من المفروض أن تحميه، حيث حلّ خبر وفاته كالصاعقة على أفراد أسرته فاتحًا المجال للتساؤل حول مدى قدرتنا على حماية علمائنا من الأعداء في عقر أوطانهم.
- كل من يعرف هذا الشخص، يؤكد أنه لا يمكن أن ينتحر أبدًا، فلا هو بالفاشل في حياته، ولا ينقصه المال مثلاً.

دون كاتب النيابة كل الملاحظات التي أملاها عليه وكيل النيابة، وانتظر فترة بعدها استأنف الكتابة فورًا بدأ وكيل النيابة في إملاء ملاحظاته.

- هذا السيناريو قد يصدقه البعض، ولكن هناك بعض النقاط التي تهدم هذا التصور من أساسه.
- من غير المعقول أن يقوم شخص بثلاث محاولات للانتحار في دقائق معدودة وكل محاولة بمفردها كفيلة بإنهاء حياته.
- بالإضافة إلى حالة الخوف الغريبة التي سيطرت عليه من أجل أولاده، فلا يعقل أن يقدم شخص على الانتحار وهو خائف على مصير أبنائه.
- عثر بين الأوراق التي عثر عليها داخل الشقة مقدمة بحث علمي بالفعل، أي أنه لم يخدع شقيقه سامح عندما طلب منه مفتاح الشقة، فهل يمكن لعالم بدأ في بحث قال عنه إنه الأهم في حياته أن ينتحر قبل أن يفرغ منه؟

- الإجابة بالطبع لا، إذن هناك من قتل هذا الشاب العبقري، والسيناريو الأقرب للتصديق أن شخصين أو ثلاثة اقتحموا شقته.
- قيدوه ثم اقتادوه إلى غرفة نومه وقام أحدهم بقطع شريان يده بينما أحضر الآخر أنبوبة الغاز إلى غرفة النوم وفتحها.
- عندما فاضت روح العالم الكبير إلى بارئها، ألقى الجناة الجثة من البلكونة، هذا السيناريو ليس غريبا على جهاز القتل الإسرائيلي (الموساد)، الذي تكرر بعد ذلك في شقة الدكتور جمال حمدان العالم المصري الكبير بعد سنوات .
- عند سُؤال زوجته: هل يمكننا أن نقول إن الموساد والمخابرات الأميركية وراء مصرع زوجك؟
- أجابت بثقة: ذلك صحيح وبنسبة كبيرة جدًا فزوجي رجل مؤمن، يعرف الله، ويقيم حدود دينه، ومثله لا ينتحر أبدًا.
- أكدت الزوجة أن الكثير من أوراق أبحاثه الخاصة التى كانت برفقته وقت الحادث فُقِدَت ولم يعثر عليها وهذا يؤكد الشبهة الجنائية فى الحادث.
- بعد كل هذا خرجت الصحف المصرية فى اليوم التالى بخبر انتحار الشاب الدكتور المصري وأسدل الستار على هذا العالم الجليل، وأوقف التحقيق فى قضيته.
- أكدت زوجته أن إحدى الجهات المخابراتية وراء اغتيال

زوجها، وتؤكد المعلومات أن العالم سعيد بدير توصل من خلال أبحاثه إلى نتائج متقدمة جعلته يحتل المرتبة الثالثة على مستوى ١٣ عالما فقط في حقل تخصصه النادر في الهندسة التكنولوجية الخاصة بالصواريخ.

- أقفل المحضر في تاريخه وساعته ونوصي بفتح تحقيق موسع في القضية لمعرفة ملابساتها، والقبض على مرتكبيها، وتكليف الشرطة بالتحري عن الواقعة وملابساتها، والتحقيق مع المقربين من الضحية.

هذا الشخص هو سعيد السيد بدير العالم المصري الذي تخصص في مجال الاتصال بالأقمار الصناعية والمركبات الفضائية خارج الغلاف الجوي، من مواليد روض الفرج بالقاهرة في ١٩٤٩ وتوفي في ١٩٨٩ بالإسكندرية في واقعة يصفها الكثيرون أنها عملية قتل متعمدة. وهو ابن الممثل المصري السيد بدير.

جمال الجغرافيا

في ليلة باردة في منتصف الشتاء بقرية ناي بمحافظة القليوبية، طلت على القرية زخات من المطر، وكان النسيم يداعب قمم النخيل، صدحت الزغاريد من منزل عالم القرية محمود صالح تشق الصمت الهادئ لتبشر بقدوم ذلك المولود جمال الذي جاء الرابع وسط سبعة من الأشقاء.

توافد أهل القرية على الدار، تسبقهم كلمات التهنئة وزجاجات الشربات وأقماع السكر، ومعها تردد الألسنة بعض آيات القرآن الكريم تيمنًا بمولود القرية الجديد جمال، رحب الشيخ محمود بالضيوف القادمين للتهنئة:

- أهلاً بكم جميعًا ... نورتم الفرح .. عقبال عندكم جميعًا
- مبروك يا شيخ محمود .. يطرح الله فيه البركة والعز...
- اتفضلوا ... الرجال إلى المضيفة، والنساء إلى صحن البيت ..

رجع الشيخ محمود بعقله إلى الماضي القريب، حيث لم يشعر بالفرح منذ أن تم فصله من مدرسة القضاء الشرعي، فلقد كان أزهريًا، القرآن والوطنية يحتلان المساحة الكبرى من قلبه، حتى إنه حين ذهب إلى القاهرة ليلتحق بمدرسة القضاء الشرعي، تم فصله منها لخروجه ضد الاحتلال الإنجليزي في مظاهرات ثورة

١٩١٩، فالتحق في العام التالي بمدرسة المعلمين، وتخرج مدرسًا للغة العربية.

انتقلت العائلة إلى القاهرة في شبرا، وسكنت في شقة مقابلة لعائلة إيطالية، تعلمت والدته الكثير من السيدة الإيطالية، تتصل بفنون تدبير البيت والطهو.

لم يكن الطفل جمال مثل أنداده من الصغار، بل بدت أمارات نبوغه مبكرًا ليس فقط في تفوقه الدراسي على أقرانه، ولكن الأهم في هذا الوعي المبكر بكل ما يدور حوله، ويقع تحت بصره أو يمر أمام حاسة من حواسه.

لفت الطفل انتباه الجارة الإيطالية الذي بهرها بحركاته السريعة وقدرته على التعبير عن انفعالاته بصورة واعية:

- صباح الخير يا أم جمال.
- صباح الخير يا حبيبتي.
- إنتي عاملة طبخة ريحتها جميلة يا أم جمال.
- تعالي دوقيها واحكمي أنتي عليها... والله لانتي داخلة.

ذاقت المرأة الإيطالية الطعام باهتمام وأعجبها مذاقه فأصرت السيدة أم جمال أن تعلمها كيف تطهو هذه الوجبة المصرية الملوخية، على أن تعلمها الأطباق الإيطالية، وتعلمها حياكة الملابس فوافقت.

- الولد دا يبدو إنه هيطلع حاجة كبيرة يا ام جمال.

- ليه بتقولي كدا.
- الولد بيلعب باللعبة الواحدة بأكتر من طريقة.
- عادي.
- وبعد ما يخلص لعبة يرصها على جنب ويجيب لعبة مكانها يلعب، كل اللعب يرتبها بالدور ويلعب بيها بالدور.
- متاخديش في بالك.
- لا دا في الآخر بيلم اللعب ويحطها في الصندوق بتاع اللعب.
- ربنا يحفظه.
- أنا هسميه لولو .
- يا ستي سميه زي ما أنتي عايزة.

لاحظ مدير المدرسة نشاط هذا الفتى الأسمر، قال له: إني أتوقع لك مستقبلاً باهرًا، فقد كانت شخصية الفتى جميلة جدًا نشيطًا ذكيًا، سريع البديهة، وصاحب نكتة، ويلعب كرة القدم واليوجا.

ظهر نبوغه عندما التحق بالمدرسة التوفيقية الثانوية، حيث وجد جوًا مختلفًا، مجموعة خطابة، وأخرى مسرحية، وجماعة شعر وما إلى ذلك، وكان عضوًا في كل هذه الجماعات.

- إيه يا جمال إنت في مجموعة الخطابة واللا في الفرقة المسرحية.
- في الاتنين.

- أنا سمعت إنك النهاردة سجلت في جماعة الشعر.
- أيوة وقدمت كمان في فريق الكرة.
- هتلاقي وقت لممارسة كل هذه النشاطات.
- نعم طالما إنها لا تتعارض مع بعضها في الوقت.

كان جمال مولعًا بلعب كرة القدم، وأثناء إحدى المباريات في المدرسة التقى بمعلم الجغرافيا الذي اكتشف موهبته في علم الجغرافيا.

رعى المدرس هذه الموهبة، وحببه أكثر في علم الجغرافيا، كان يكتب جريدة الحائط كل يوم بيده، وظهر حبه لرسم الخرائط في هذه المرحلة.

لذا كان منطقيًا أن تقترن مسيرته الدراسية بالتفوق، وعبر مدرسة التوفيقية حصل جمال على شهادات الابتدائية ثم الثقافة ثم الإعدادية، والتوجيهية وجاء ترتيبه السادس على القطر المصري كله.

عكف في الإجازة الصيفية على صقل موهبتي الرسم والخط لديه، ثم توجه مباشرة لدراسة علم الجغرافيا في جامعة فؤاد الأول.

كان متاحًا أمامه كل كليات القمة، لكنه اختار كلية الآداب قسم الجغرافيا، لأنه كان محدد الهدف، وعندما التحق بكلية الآداب كان يذهب يوميًا لكي ينهل من مكتبتها.

في السنة الثانية التقى بأساتذته الذين تركوا بصمة على تفكيره، وهو الأستاذ مصطفى عامر وأهدى إليه أول كتاب له بالإنجليزية.

في السنة الثالثة بالجامعة تعلم اللغة الألمانية، وفي عام ١٩٤٨م تخرج ونال درجة الامتياز كتقدير عام، والتحق بالكلية معيدًا.

اقترب أكثر في هذه الفترة من رواد الجغرافيا الحديثة الذين تنبأوا لجمال أن كتاباته ستغير وجه الجغرافيا في مصر.

وجه له أحد أصدقائه سؤالاً مباشرًا:

- الجغرافيا مادة صعبة وسخيفة تفرض على الطالب حفظ الكثير من المعلومات التي تنسى بعد مدة يسيرة من حفظها.
- تعد الجغرافيا همزة الوصل بين الأرض والإنسان، والعلاقة القائمة بينهما سلبًا و إيجابًا، حيث تعد الجغرافيا إحدى العلوم الاجتماعية التي تربط بين الإنسان وبيئته منذ أقدم العصور وحتى وقتنا الحاضر، بالإضافة إلى ذلك تعتبر الجغرافيا من العلوم التكاملية التي تربط بين العلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعية..
- وما معنى المفردات الجديدة في علم الجغرافيا مثل الجيوبوليتك والجغرافيا السياسية؟
- في معناه البسيط يعني الجيوبوليتيك: «علم سياسة الأرض»، أي دراسة تأثير السلوك السياسي في تغيير الأبعاد الجغرافية للدولة.
- ويتداخل هذا المفهوم مع مضمون علم الجغرافيا السياسية الذي يعنى بدراسة تأثير الجغرافيا (الخصائص الطبيعية

والبشرية) في السياسة.

- ولدى البعض فإن الجغرافيا السياسية تدرس الإمكانات الجغرافية المتاحة للدولة، بينما الجيوبوليتيك تعنى بالبحث عن الاحتياجات التي تتطلبها هذه الدولة لتنمو حتى ولو كان وراء الحدود.
- وبينما تشغل الجغرافيا السياسية نفسها بالواقع فإن الجيوبوليتيك تكرس أهدافها للمستقبل.

بعدما أنهى جمال دراسته الجامعية بعد حصوله على امتياز مع مرتبة شرف، في سنة ١٩٤٩أرسلته الدولة بعثة إلى انجلترا لمدة ٥ سنوات لاستكمال دراسته بقسم الجغرافيا، وفي أثناء ذلك تعرضت السفينة التي كانت تقله لعاصفة شديدة أنذرت بغرقها عند خليج بسكاي.

هناك قابل أستاذه أوستن ميللر الذي اختارته الجامعة لجمال مشرفًا على دراسته العليا، وكان أحد أبرز المتبحرين في دراسات الشرق الأوسط في ذلك الوقت، وبعد أكثر من عام من البحث والدراسة اختار جمال سكان وسط الدلتا في مصر موضوعًا للماجستير، ولكن المشرف الإنجليزي رأى أن الموضوع يصلح لشهادتي الماجستير والدكتوراة دفعة واحدة.

تعرف على زميلة له في الجامعة «ويلما»، وارتبط بها ارتباطًا وثيقًا، ولما انتهى من رسالته وتمت مناقشتها ومنح شهادة الدكتوراة

في فلسفة الجغرافيا مع مرتبة الشرف الأولى، عرض على محبوبته الإنجليزية الزواج والسفر معه إلى القاهرة، وعدته بالتفكير في الموضوع واتخاذ قرارها في هذا الشأن بعد أن فشلت في إقناعه أن يتزوجا في إنجلترا وأن يستقر بها.

- ويلما .. هل تقبلينني زوجًا لكي؟
- بكل سعادة ... نشتري شقة هنا .. وتعمل في الجامعة في الوظيفة التي عرضوها عليك ونستقر هنا في لندن.
- لا أستطيع أن أبقى هنا، بلدي تحتاج إليّ .. سنستقر هناك، بلدي جميلة و ستحبينها وستعجبين بها.
- خيرًا أمهلني حتى أفكر في الأمر..

عاد الدكتور جمال إلى جامعة القاهرة وفي سنوات قليلة من بدء حياته الجامعية أصدر ثلاثة كتب مهمة؛ جعرافيا المدن، المظاهر الجغرافية لمجموعة مدينة الخرطوم، و دراسات عن العالم العربي.

على الرغم من أن الجامعة كانت طريقه للفوز بجائزة الدولة التشجيعية في العلوم الاجتماعيةعام ١٩٥٩ وعمره لم يتجاوز الواحدة والثلاثين، فقد آثر الاستقالة بسبب مشاكل مفتعلة بسبب الترقية، ولكن الجامعة لم تقبلها إلا بعد عامين كي لا ينال مستحقات إنهاء الخدمة.

بعد الاستقالة لجأ الدكتور جمال إلى منتجع حلوان ليستريح لمدة شهرين، واهتدى بعد محنة الاستقالة إلى فكرته المتمثلة في

اعتزال العالم والاعتكاف في داره، لكن لم تكن تلك العزلة سبيلاً للإحباط بل فرصة للتفرغ العلمي الذي لا تقاطعه أعباء الحياة، ليعيش راهبًا في محراب العلم بين كتبه وأبحاثه.

جلس في بيته ثلاث سنوات للإعراض عن الأحقاد والتفاهات، ثم استقال نهائيًا، ورفضت الاستقالة، وتفرّغ للكتابة، وخصص نحو ١٠ سنوات لتأليف كتاب واحد هو «شخصية مصر». استغنى عن كل شيء تقريبًا فيما عدا كتبه ومراجعه وأوراقه و أحباره، ورتب حياته في العزلة ترتيبًا صارمًا، فلم يعد يفتح باب شقته سوى لمعدودين، ولم يكن يخرج إلا قليلاً لإنجاز أمر ضروري أو لزيارة مكتبة أو دار للكتب.

لا يسمح لأحد بأن يقتحم عزلته دون موعد سابق، وكان عندما يريد أحد أشقائه أن يراه يمر عليه في الصباح ويترك له بطاقة بموعد حضوره، أو يطرق عليه الباب بطريقة معينة، فإذا فتح الباب وكان مشغولاً في عمل، أجلسه في هدوء في غرفة استقباله المتواضعة حتى يفرغ من عمله.

كان له طباخ يصنع له طعامه البسيط، ويتولى تنظيف المنزل وشراء الحوائج من السوق مرة في الأسبوع، وكان هذا الطباخ -مع الجرائد والمجلات والإذاعة- هو همزة الوصل بينه وبين العالم الخارجي.

حيث كان عاكفًا طول الوقت على أبحاثه يواصل الليل بالنهار إلى درجة أنه كان يعمل دون انقطاع ثماني عشرة ساعة يوميًا،

كل هذا وهو محروم من المعاش بسبب الروتين الحكومي الذي لا تسمح لوائحه بالمعاش إلا لمن أمضى عشر سنوات فأكثر في الجامعة.

اكتفى بالعكوف على العلم، و أثمر اعتكافه أول كتبه «المدينة العربية» عام ١٩٦٤م، و«بترول العرب» في نفس السنة، ثم إفريقيا الجديدة.

كتب في عام ١٩٦٥ مقالاً بعنوان: هل تملك إسرائيل سلاحًا ذريًا؟ غير أن كلماته لم تجد صدى، وجاءت النكسة لتهزه من الأعماق فيكتب عن اليهود كتابًا خطيرًا «اليهود إنثروبولوجيا» عام ١٩٦٧م، ليؤكد عن طريق الدراسة العلمية الموثقة أن اليهود ليسوا شعبًا واحدًا.

بعد عام يفاجئ العدو بكتاب جديد هو «استراتيجية الاستعمار والتحرير» يفضح فيه فكرة الاستعمار منذ العصور القديمة، وحتى عصر سيادة الولايات المتحدة الأمريكية اليوم.

كما ألف كتاب «القاهرة» محددًا مشاكل العاصمة على أسس علمية وسبل حلها بإيجاد عاصمة جديدة شعبية ورسمية، وكتب «بين أوروبا وآسيا».

أخذه الفرح بنصر أكتوبر ١٩٧٣ فألف كتاب «٦ أكتوبر في الاستراتيجيات العالمية»، وتطورت فكرة تحرير العالم الإسلامي لديه حتى يتم تحرير فلسطين فكتب كتابًا نبه فيه أن الإسلام لا

يحل بأرض إلا و يجعل لها توزيعًا سكانيًا مختلفًا .

لم يكتف بعمله الأهم كتاب «شخصية مصر» الذي بدأه بكتاب صغير وانتهى بموسوعة ضخمة تمثل ما يقارب نصف ما كتب، وقد أكد منذ البداية أن الاستعمار - و إن نجح أن يغلق مصر سياسيًا - إلا أنه لن يغلقها و يقطعها عن العالم الإسلامي الذي كان وما يزال وحدة فاعلة، استغرقت كتابة الموسوعة ما بين ١٩٧٥ إلى ١٩٨٤م.

بعد كل هذا أحس جمال بأنه ليس هناك من يقرأ أو يسمع في العالم الإسلامي، فرفض جائزة الدولة التقديرية للعلوم الاجتماعية ١٩٨٦، كما رفض وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى عام ١٩٨٨.

لماذا لم يسافر د. جمال إلى دولة عربية لا سيما أنه تلقى عروضًا كثيرة مغرية؟

فور عودته من بريطانيا، عرضت عليه وزارة التعليم العالي العمل في اليونسكو بباريس، إلا أنه اعتذر، وجاء إلى منزله عبدالسلام جلود وزير الخارجية الليبي، مبعوثًا من القذافي عارضًا عليه إنشاء وزارة للتعليم العالي في ليبيا ومقابل أي مبلغ يريد، فرفض .

وزاره ذات مرة محمد حسنين هيكل، وأخبره بأن لديه عرضًا بأن يتولى رئاسة جامعة الكويت، وترك له تحديد المبلغ الذي يريد، مع عرض مبدئي ب٢٥ ألف دولار شهريًا، فرفض أيضًا.

وحقًا كان لا يقبل أي مباهج في الحياة . وعندما حصل على جائزة التقدم العلمي من الكويت في عام ١٩٨٨ وزع قيمة الجائزة

(أكثر من ١١ ألف دولار) على إخوته وأبنائهم، وعندما طلب منه أن يستبقي مبلغًا من الدولارت في البنك لشراء ما يحتاجه من كتب ودوريات عالمية، رفض، لقد كان الزهد من طبيعته.

رفض كل ما أرسل له من أجهزة كهربائية، لم يقتن سيارة أو تليفزيونًا أو حتى ثلاجة، وعندما أرادوا ذات مرة الاحتفال بعيد ميلاده، وأحضروا الكعك والبط، رفض أن يأخذ أي شيء، وطلب من الخادم توزيع الطعام على البوابين.

- أهلاً بك يا دكتور ...
- أهلاً بك يا دكتور جمال .. لدي هدية لك والنبي قبل الهدية.
- وما هي تلك الهدية يا صديقي؟
- أجهزة كهربية منزلية تسهل عليك الحياة مثل التلفزيون والثلاجة وبعض أدوات المطبخ.
- لا أحتاج لهذه الأشياء، لدي طباخ ماهر يحضر لي غذائي البسيط و لا يتبقى منه شيء لأحفظه، والتليفزيون لدي واحد أبيض وأسود أستمع منه إلى الأخبار، وهذا كل ما أريده من التلفزيون.
- إذن دعني أعزمك على غذاء فاخر من أحد المطاعم الراقية نتناوله معًا.
- ما عندي ستأكلونه ولا أريد كلامًا كثيرًا.

قال عنه الكاتب الصحفي الفريد أحمد بهاء الدين:

إن جمال أرسله الله برسالة من أجل مصر والمصريين، ولا يجب أن نخرجه مما يقوم به.

من أهم الشخصيات التي تركت تأثيرًا فيه أستاذه ميللر، والدكتور/عباس عمار، و الدكتور/محمد عوض محمد، وخارج التخصص تأثّر كثيرًا بعباس محمود العقاد، وكان يحضر كثيرًا صالونه في مصر الجديدة.

إن كتاب «شخصية مصر» طغى على بقية مؤلفاته، وعلميًا فكتابه «جغرافيا المدن» الذي احتفت به كل الدوائر العالمية هو الأهم، لكن يظل «شخصية مصر» الأكثر رواجًا، يليه «دراسات في العالم العربي»، ثم «اليهود أنثروبولوجيا» الذي طبعته «دار الهلال» ١٠ مرات.

- هل زاد توزيع كتبه في فترات معينة؟
- نعم، بعد ثورة يناير.
- «دار الهلال» اعتادت أن تحدد مبلغًا لورثة جمال حمدان كل عام، وكان أكبر مبلغ في عامي ٢٠١١ و٢٠١٢ .
- ماذا ترك الفتى لأسرته؟
- شقيقي لم يترك إلا العلم الذي ينتفع به، وبعد حادثة حريق شقته، وهي غرفتان وصالة، فتحنا «دولابه» فوجدنا ظرفًا أصفر مكتوبًا عليه « كل حساباتي مع عالم الكتب»، ولم يكن في هذا الظرف مليم.

- مات ولم يكن له أي حساب في أي بنك، ولا أي أموال في البيت، ولكن الورثة يحصلون كل عام على مبالغ محترمة من «دار الهلال» .
- هل لقي الفتى التكريم اللائق به في حياته وبعد مماته؟
- للأسف لا، لكن قبل موته كان المثقفون فقط يعرفونه، وبعد مماته أصبح الشعب كله يعرفه.
- ماذا كانت أمنيات الفتى لنفسه وعائلته وبلده؟
- كان صاحب رسالة في حب مصر وترابها، وحبه هذا جعله ينقدها نقدًا لاذعًا.
- أما أسرته، فكان دائم السؤال ومهمومًا بها وبرفعتها واستقرارها.
- ما الذي تريده أسرة حمدان من مصر الدولة والمجتمع؟
- سؤال صعب، وأذكر أن آخر كتاب ألّفه الدكتور/عمر الفاروق، كان بعنوان «ورش جمال حمدان»، قسّم هذه الورش إلى مراحل، منها ما يجب تدريسه في المرحلتين الإعدادية والثانوية من كتبه، ومنها ما يصلح للتدريس في الجامعة، والدراسات العليا.
- طلب أن يصدّق على هذا المشروع وزراء الثقافة والتعليم والتعليم العالي، وللأسف لم ينجز هذا المشروع إلى الآن، وما تريده أسرة حمدان هو تنفيذ ورش الدكتور عمر الفاروق، وتدريس كتبه في جميع المراحل التعليمية .

تظل المرأة في حياة جمال حمدان لغزًا خصوصًا أنه لم يتزوج، وعن الحب في حياته، يقول شقيقه عبدالعظيم: أثناء دراسته بجامعة «ريدنج» في بريطانيا بين عامي ١٩٤٨ و١٩٥٣ زاملته في التخصص نفسه فتاة إنجليزية تسمى «فيلما»، كانت أيضًا تعمل سكرتيرة لمشرفه العلمي البروفيسور ميللر، وجمعتهما قصة حب لخمس سنوات، وكانا يتنزهان في عطلة الأسبوع بالذهاب إلى لندن، وكان كل همهما أن يذهبا إلى «سور الكتب القديمة» هناك ليقتنيا أمهات المؤلفات بأرخص الأسعار.

كان جمال يرسل خطابات لأخيه ليقول له بفرح إنه اشترى الكتاب المهم الفلاني ببنسات قليلة، كما كان يرسل صورًا له تجمعه بـ«فيلما».

وخطابات الفتى من لندن، نشرها الكاتب الراحل غالي شكري في مجلة «القاهرة». ويضيف: أنهى الفتى رسالته للدكتوراة عن «فلسفة الجغرافيا»، وهو التخصص الذي حصل ٦ فقط على الدكتوراة فيه حينها.

طلب منه ميللر أن يعمل معه في إنجلترا أستاذًا مساعدًا بالمرتب الذي يريده، إلا أن الفتى اعتذر له قائلاً: إنه ينبغي عليه أن يعود إلى مصر.

صممت «فيلما» أن يمكث في إنجلترا، ولا يغادرها، فرد عليها بأنه لا يستطيع مغادرة بلده، طالبًا منها أن تصحبه إلى مصر، ولكنها

قالت له: اذهب أنت، ودعني أفكر، ولأن علاقة أخي جمال بـ«فيلما» أول قصة حب في حياته، لذلك قرر ألا يتزوج . أو لنقل إنه تزوج العلم .

كان أخوه متزوجًا من فرنسية متخصصة في علم المصريات. وأتيا في إجازة إلى مصر نحو ٤ أشهر. واصطحبا معهما زميلة فرنسية في التخصص نفسه، وكانوا يتقابلون مع جمال كل يوم، وكان عبدالحميد أوصى زوجته بأن تجد عروسًا لجمال، فرشّحت زميلتها العاشقة له من كتاباته، وقبيل سفر عبدالحميد وزوجته، سأل جمال عن رأيه في الزميلة الفرنسية . فأجابه: لماذا؟ فقال عبدالحميد: من أجل الزواج، فردّ جمال: لا أفكّر فيه.

عاني مثل أنداده من كبار المفكرين الاستراتيجيين في العالم، من عدم قدرة المجتمع المحيط بهم على استيعاب ما ينتجونه، إذ إنه غالبًا ما يكون رؤية سابقة لعصرها بسنوات، وهنا يصبح عنصر الزمن هو الفيصل للحكم على مدى عبقرية هؤلاء الاستراتيجيين.

من الاستشراقات المهمة التي تضمنتها أوراق جمال، تلك المتعلقة بعودة الإسلام ليقود من جديد.

حيث يقول:

يبدو لي أن عودة الإسلام أصبحت حقيقة واقعة في أكثر من مكان، عودة الإسلام حقيقة ودالة جدًا تحت ناظرينا»، ويلفت إلى أنه «في الوقت نفسه يبدو أن ديناميات الإسلام تختلف تمامًا،

فقديمًا كان الإسلام يتقلص في تراجع نحو الجنوب في جبهته الأوربية وجنوب جبهته الإفريقية، الآن هناك عودة الإسلام في أوروبا خاصة في طرفيها أسبانيا وآسيا الوسطى، إضافة إلى هجرة المسلمين إلى قلب أوروبا».

ومن المؤسف بعد ذلك كله، أن جمال حمدان عانى من تجاهل ونسيان لأكثر من ثلاثين عامًا قضاها منزويا في شقته الضيقة، ينقب ويحلل ويعيد تركيب الوقائع والبديهيات، وعندما مات بشكل ماسأوي، خرج من يتحدث عن قدرة خارقة لحمدان على التفرغ للبحث والتأليف بعيدًا عن مغريات الحياة، كما لو كان هذا الانزواء قرارًا اختياريًا وليس عزلة فرضت عليه لمواقفه الوطنية الصلبة، وعدم قدرة المؤسسات الفكرية والمثقفين العرب على التعاطي مع أفكاره التي كانت سابقة لزمانها بسنوات.

جمال حمدان هو محطة من محطات الشرف العربي، التي تلتقي فيها كل نوازع الحرية والكبرياء مع أساسيات العلم والمعرفة، التي تحفظ الحق وتصون الأمانة، عاش حياته زاهدًا في الدنيا، مبتعدًا عن أضوائها ومباهجها، واهبًا حياته للعلم، ثم فارقَ الدنيا تاركًا وراءَه لغزًا لم يستطِع أحد التوصل إلى حله حتَّى اليوم.

ولم يكن الدكتور «جمال حمدان» مجرَّد أستاذٍ للجغرافيا في جامعة القاهرة، بل كان مفكِّرًا وعالِمًا أفنى عمره كلَّه باحثًا عن ينابيع العبقرية في الشخصية المصرية، محلِّلاً للزمان والمكان

والتاريخ الذي أدى إلى حفاظ تلك الشخصية على مقوماتها.

وكان «حمدان» يرى أن مصر تحوَّلت من أول أمة في التاريخ إلى أول دولة، ثم أول إمبراطورية، وتوصل إلى تلك الحقائق من خلال دراسات جادة وأبحاث متعمقة، ولم يكن «حمدان» بعيدًا عن قضية العرب والمسلمين الأولى، وهي قضية فلسطين، التي اغتصبها الصهانية، بل قام بعدد من الدراسات عن اليهود، مفنِّدًا أساطيرَهم المزعومة عن حقهم التاريخي في أرض فلسطين.

عثر على جثته والنصف الأسفل منها محروقًا، واعتقد الجميع أن د. حمدان مات متأثرًا بالحروق، ولكن الدكتور يوسف الجندي مفتش الصحة بالجيزة أثبت في تقريره أن الفقيد لم يمت مختنقًا بالغاز، كما أن الحروق ليست سببًا في وفاته، لأنها لم تصل لدرجة أحداث الوفاة.

إن مشهد الحريق البسيط ويبدو هذا واضحًا من آثار الحريق على جدران الشقة لا يسبب صدمة عصبية لشخص عادي، فما بالك بشخص يمارس اليوغا بانتظام ليقهر رغبات الجسد، خاصة وأنه اختار العزلة في آخر سنوات عمره. قالوا إن أنبوبة الغاز انفجرت فيه بعد أن أذابت النيران خرطوم الأنبوبة، لكن عثر على أنبوبة الغاز في حالة سليمة، بل وخرطومها أيضًا في حالة سليمة للغاية.

قالوا إن النيران أمسكت به عند قيامه بإعداد الطعام لنفسه، لكن ثبت في التحقيقات أن د. حمدان أرسل بواب العمارة قبل

الحادث بساعة ليحضر له بعض الأطعمة ليقوم هو بتجهيزها. من ناحية أخرى نفهم أن البواب المسؤول ضمنيًا عن حراسة العمارة لم يكن موجودًا في موقعه عند وقوع الحادث، مما يسهل مهمة دخول وخروج أي شخص غريب.

سؤال آخر نطرحه وهو بديهي للغاية. المنطقي عندما يواجهنا حريق في الشقة أن نسارع بالهرب خارجًا.

السؤال هنا هو: ألم يحاول د. حمدان الهروب من النيران، أم أن هناك شيئًا أعاقه ومنع هروبه مما أفضى لوفاته؟ معلومة أخرى وهي أنه لا يوجد من شعر برائحة الغاز قبل رائحة «الشياط». والمنطقي أن تزكم الأنوف برائحة الغاز طالما أن تسرب الغاز كان سببًا للحريق. اكتشف المقربون من الدكتور جمال اختفاء مسودات بعض الكتب التي كان بصدد الانتهاء من تأليفها، وعلى رأسها كتابه عن اليهودية والصهيونية و يقع في ألف صفحة و كان من المفروض أن يأخذه ناشره يوسف عبد الرحمن يوم الأحد.

والكتاب الثاني: العالم الإسلامي المعاصر وله كتاب قديم عن العالم الإسلامي كتبه سنة ١٩٦٥ ثم عاد وأكمله وتوسع فيه بعد ذلك لدرجة أنه أصبح كتابًا جديدًا.

والكتاب الثالث: عن علم الجغرافيا، مع العلم أن النار التي اندلعت في الشقة لم تصل لكتب وأوراق د. حمدان.

مما يعني اختفاء هذه المسودات بفعل فاعل وحتى هذه اللحظة

لم يعلم أحد سبب الوفاة ولا أين اختفت مسودات الكتب التي كانت تتحدث عن اليهود.

و مما يؤكد حتمية قتله ما رواه أشقاؤه عبد العظيم وفوزية أن الطباخ الذي كان يطبخ له فوجئنا بأن قدمه انكسرت وأنه رحل إلى بلده ولم نعد نعرف له مكانًا.

و أمر آخر أن جارة كانت تسكن في البيت الذي يسكن فيه جمال حمدان قالت لنا إن هناك رجلاً وامرأة خواجات، سكنوا في الشقة الموجودة فوق شقته شهرين ونصف قبل اغتياله ثم اختفيا بعد قتله.

وقد فجّر رئيس المخابرات السابق أمين هويدي مفاجأة من العيار الثقيل، حول الكيفية التي مات بها جمال، وأكد هويدي أن لديه ما يثبت أن الموساد الإسرائيلي هو الذي قتل حمدان.

كان جمال صاحب السبق في فضح أكذوبة أن اليهود الحاليين هم أحفاد بني إسرائيل الذين خرجوا من فلسطين خلال حقب ما قبل الميلاد.

أثبت في كتابه «اليهود أنثروبولوجيا» بالأدلة العملية أن اليهود المعاصرين الذين يدعون أنهم ينتمون إلى فلسطين ليسوا هم أحفاد اليهود الذين خرجوا من فلسطين قبل الميلاد، وإنما ينتمي هؤلاء إلى إمبراطورية «الخزر التترية» التي قامت بين «بحر قزوين» و«البحر الأسود»، واعتنقت اليهودية في القرن الثامن

الميلادي، وهو ما أكده بعد ذلك بعشر سنوات «آرثر كوستلر» مؤلف كتاب القبيلة الثالثة عشرة.

هذا الرجل الذي تحدثنا عنه هو جمال حمدان، ربما عرفتم من كتاباته، هذا الرجل الذي هز عروش الصهاينة وأثبت أن كل دعاويهم لإقامة الدولة اليهودية الدينية في فلسطين على أساس عرقي باطلة.

يعد جمال حمدان واحدًا من ثلة محدودة للغاية من المثقفين المسلمين الذين نجحوا في حل المعادلة الصعبة المتمثلة في توظيف أبحاثهم ودراساتهم من أجل خدمة قضايا الأمة، حيث خاض من خلال رؤية استراتيجية واضحة المعالم معركة شرسة لتفنيد الأسس الواهية التي قام عليها المشروع الصهيوني في فلسطين.

إذا كان الباحث المصري الدكتور عبد الوهاب المسيري قد نجح من خلال جهد علمي ضخم في تفكيك الأسس الفكرية للصهيونية، فإن جمال حمدان كان سباقًا في هدم المقولات الإنثروبولوجية التي تعد أهم أسس المشروع الصهيوني، حيث أثبت أن إسرائيل - كدولة - ظاهرة استعمارية صرفة، قامت على اغتصاب غزاة أجانب لأرض لا علاقة لهم بها دينيًا أو تاريخيًا أو جنسيًا، مشيرًا إلى أن هناك «يهوديين» في التاريخ، قدامى ومحدثين، ليس بينهما أي صلة أنثروبولوجية.

ذلك أن يهود «فلسطين التوراة» تعرضوا بعد الخروج لظاهرتين أساسيتين طوال ٢٠ قرنًا من الشتات في المهجر: خروج أعداد

ضخمة منهم بالتحول إلى غير اليهودية، ودخول أفواج لا تقل ضخامة في اليهودية من كل أجناس المهجر، واقترن هذا بتزاوج واختلاط دموي بعيد المدى، انتهى بالجسم الأساسي من اليهود المحدثين إلى أن يكونوا شيئًا مختلفًا كلية عن اليهود القدامى.

في وقت كان الصهاينة يروجون لأنفسهم كأصحاب مشروع حضاري ديمقراطي وسط محيط عربي إسلامي متخلف.

لم تخدع تلك القشرة الديمقراطية الصهيونيةالمضللة عقلية لامعة كجمال حمدان، كما أنه لم يستسلم للأصوات العربية الزاعقة التي لا تجيد سوى الصراخ والعويل، واستطاع من خلال أدواته البحثية المحكمة أن يفضح حقيقة إسرائيل.

مؤكدا «أن اليهودية ليست ولا يمكن أن تكون قومية بأي مفهوم سياسي سليم كما يعرف كل عالم سياسي، ورغم أن اليهود ليسوا عنصرًا جنسيًا في أي معنى، بل «متحف» حي لكل أخلاط الأجناس في العالم كما يدرك كل أنثروبولوجي، فإن فرضهم لأنفسهم كأمة مزعومة مدعية في دولة مصطنعة مقتطعة يجعل منهم ومن الصهيونية حركة عنصرية أساسًا».

كشف جمال حمدان قبل نحو ثلث قرن تلك الحقيقة الطائفية البحتة للمشروع الصهيوني، ووصف في كتابه استراتيجية الاستعمار والتحرير إسرائيل بأنها «دولة دينية صرفة، تقوم على تجميع اليهود، واليهود فقط، في جيتو سياسي واحد، ومن ثم فأساسها التعصب الديني ابتداءً، وهي بذلك تمثل شذوذًا رجعيًا

في الفلسفة السياسية للقرن العشرين، وتعيد إلى الحياة حفريات العصور الوسطى بل القديمة.

أدرك حمدان مبكرًا من خلال تحليل متعمق للظروف التي أحاطت بقيام المشروع الصهيوني أن «الأمن» يمثل المشكلة المحورية لهذا الكيان اللقيط، واعتبر ان وجود إسرائيل رهن بالقوة العسكرية وبكونها ترسانة وقاعدة وثكنة مسلحة، مشيرًا إلى أنها قامت ولن تبقى إلا بالدم والحديد والنار، ولذا فهي دولة عسكرية في صميم تنظيمها وحياتها، ولذا أصبح جيشها هو سكانها وسكانها هم جيشها.

حدد جمال حمدان الوظيفة التي من أجلها أوجد الاستعمار العالمي هذا الكيان اللقيط، بالاشتراك مع الصهيونية العالمية، وهي أن تصبح قاعدة متكاملة آمنة عسكريًا، ورأس جسر ثابت استراتيجيًا، ووكيلاً عامًا اقتصاديًا، أو عميلاً خاصًا احتكاريًا، وهي في كل أولئك تمثل فاصلاً أرضيًا يمزق اتصال المنطقة العربية ويخرب تجانسها ويمنع وحدتها وإسفنجة غير قابلة للتشبع تمتص كل طاقاتها ونزيفًا مزمنًا في مواردها.

وإذا ما قلبنا في صفحات كتاب «جمال حمدان .. صفحات من أوراقه الخاصة»، نجد حالة نادرة من نفاذ البصيرة والقدرة الاستراتيجية على المستقبل، ففي الوقت الذي رأى البعض في إقرار قمة بروكسيل (١٣، ١٤ ديسمبر ٢٠٠٣) تشكيل قوة عسكرية أوروبية منفصلة عن حلف الأطلسي بداية لانهيار التحالف

التاريخي بين الولايات المتحدة وأوروبا الغربية، نجد أن جمال حمدان قد تنبأ بهذا الانفصال منذ نحو ١٥ عاما .

وأشار إلى أنه «بعد سقوط الاتحاد السوفيتي وزواله، بدأ البحث عن عدو جديد، قيل: إنه الإسلام، نؤكد أن الإسلام خارج المعركة والحلبة، هو فقط كبش فداء مؤقت، أما العدو الحقيقي الفعال فسيظهر من بين صفوف المعسكر المنتصر بالغرب.

سيكون الصراع الرهيب بين أمريكا وأوربا الغربية أو اليابان». ويضيف في موضع آخر من الكتاب.

لقد بدأت الحرب الباردة بالفعل بين شاطئ الأطلسي، بين أوروبا وأمريكا، لقد انتقلت الحرب الباردة من الشرق - الغرب، أو الشيوعية- الرأسمالية، إلى داخل الغرب نفسه، وداخل الرأسماليين القدامى خاصة بين فرنسا وألمانيا في جبهة، بريطانيا وأمريكا في الجبهة المضادة.

علوم وعلماء

يعتبر الدكتور سمير نجيب واحدًا من أهم علماء الفيزياء في مصر والعالم بدأ رحلته في العلوم من خلال جامعة القاهرة.

بعد ذلك سافر إلي الولايات المتحدة الأمريكية ليظهر تفوقًا نابغًا وعظيمًا يحسب له في مجال الفيزياء والعلوم .

قدم أبحاثه العلمية بعد سفره في بعثة للولايات المتحدة الأمريكة لتميزه ونبوغه حيث قد أنهي رسالتة قبل الميعاد المحدد لها بحوالي عام نظرًا لعبقريتة ونبوغه.

عمل تحت إشراف عدد كبير من أساتذة الفزياء والخاصة أيضًا بالطاقة النووية دائمًا كان يفكر في العودة إلي مصر ليعطيها حقها عليه كان يحب بلده وقرر العودة لها بعد أن رفض معظم الإغراءات والعروض التي قدمت له في مدينة ديترويت الأمريكية.

شاء القدر والظروف إلي أن يموت في يوم عودته إلي مصر نتيجة لحادث سير أدي إلي وفاته وحرمت مصر منه ومن أعماله وأبحاثه و إنجازاته العظيمة التي كان يريد أن يخدم بها بلده تحية تقدير و إعزاز له سيظل في قلوب كل المصريين الشرفاء والعظماء.

ولد سمير نجيب ونشأ في مصر، التحق بكلية العلوم بالقاهرة وتخرج فيها ليبدأ رحلته العلمية والتي حددت مصيره حيث أظهر

نبوغًا وتفوقًا كبيرًا خلال بحثه الذي أعده في الستينات خلال بعثته إلى أمريكا.

أعلنت جامعة ديترويت الأمريكية عن مسابقة للحصول على وظيفة أستاذ مساعد بها في علم الطبيعة وتقدم لهذه المسابقة أكثر من مائتي عالم ذرة من مختلف الجنسيات وقد فاز بها الدكتور سمير نجيب وحصل على وظيفة أستاذ مساعد بالجامعة.

بدأ أبحاثه الدراسية التي حازت على إعجاب الكثير من الأمريكيين وأثارت قلق الصهاينة والمجموعات الموالية للصهيونية في أمريكا.

بدأت تنهال على الدكتورالعروض المادية لتطوير أبحاثه ولكنه شعرأن بلده ووطنه في حاجة إليه وصمم العالم على العودة إلى مصر خاصة بعد نكسة يونيو.

عندما أعلن عن سفره تقدمت إليه جهات أمريكية كثيرة تطلب منه عدم السفر وقامت بممارسة الإغراءات العلمية والمادية المتعددة لكي يبقى في الولايات المتحدة.

رفض العالم سمير نجيب كل الإغراءات التي قدمت له وفي اليوم المحدد لعودته إلى مصر تحركت القوى الخفية المعادية لمصر والأمة العربية هذه القوى التي تريد أن تدمر كل بنية علمية عربية متطورة مهما كانت الدوافع ومهما كانت النتيجة.

في مدينة ديترويت وبينما كان الدكتور سمير يقود سيارته

والآمال الكبيرة تدور في عقله حلم بالعودة إلى وطنه لتقديم جهده وأبحاثه ودراساته للمسئولين والشوق والحنين إلي أسرتة وعائلته وأصحابه بعد غياب ضحي بنفسه من أجل العودة لوطنه فراح ضحية الغدر.

في الطريق العام فوجئ الدكتور سمير نجيب بسيارة نقل ضخمة، ظن في البداية أنها تسير في الطريق شأن باقي السيارات. حاول قطع الشك باليقين فانحرف إلى جانبي الطريق لكنه وجد أن السيارة تتعقبه، وفي لحظة مأساوية أسرعت سيارة النقل ثم زادت من سرعتها واصطدمت بسيارة الدكتور الذي تحطمت سيارته ولقي مصرعه على الفور، وانطلقت سيارة النقل بسائقها واختفت، وقُيّد الحادث ضد مجهول، وفقدت الأمة العربية عالمًا كبيراً من الممكن أن يعطي بلده وأمته الكثير في مجال الذرة.

نبيل

ولد في المنصورة في ديسمبر ١٩٣٩، والده محمد القليني رئيس قلم الميزانية بالقضاء العالي بالقاهرة، اختفى منذ عام ١٩٧٥ وحتى الآن.

أوفدته كلية العلوم في جامعة القاهرة إلى تشيكوسلوفاكيا للقيام بعمل المزيد من الأبحاث والدراسات في الذرة، حصل على الدكتوراة في الذرة من جامعة براغ.

كشفت الأبحاث العلمية الذرية التي قام بها عن عبقرية علمية كبيرة تحدثت عنها جميع الصحف التشيكية .

في صباح يوم الاثنين الموافق ٢٧يناير ١٩٧٥م، دق جرس الهاتف في الشقة التي كان يقيم فيها الدكتور القليني، وبعد المكالمة خرج الدكتور ولم يعد حتى الآن.

لما انقطعت اتصالات الدكتور مع كلية العلوم بجامعة القاهرة، أرسلت الكلية إلى الجامعة التشيكية تستفسر عن مصير الدكتور نبيل الذي كان بعبقريته حديث الصحافة التشيكية والأوساط العلمية العالمية.

لم ترد الجامعة التشيكية، وبعد عدة رسائل ملحة من كلية العلوم بجامعة القاهرة، ذكرت السلطات التشيكية أن العالم

الدكتور القليني خرج من بيته بعد مكالمة هاتفية ولم يعد إلى بيته.

الغريب أن الجامعة التشيكية علمت بنبأ الاتصال الهاتفي فمن أين علمت به؟ وهل اتصلت بالشرطة التشيكية، فإذا كانت الشرطة أخبرت إدارة الجامعة التشيكية فمن أين عرفت الشرطة؟؟؟

الأغرب أن السلطات المصرية (عام ١٩٧٥م) لم تحقق في هذه الجريمة، ومن ثوابت ووقائع الاختفاء فإننا نرجح أن الدكتور تم استدراجه إلى كمين من قبل الموساد.

بعدها إما أن يكون قتل أو تعرض لما يسمى بغسيل الدماغ بما يحقق تعطيل كل ما في عقله من دراسات علمية متطورة.

و إما أن يكون في أحد السجون الغربية أو الإسرائيلية و إما أن يكون قد تم مبادلته ببعض الجواسيس الإسرائيليين في مصر بعد توقيع معاهدة « كامب ديفيد».

عالم كهرباء

في صباح يوم ١٦ أغسطس عام ١٨٩٤ في بلدة النبطية بجنوب لبنان، ولد فتى جميل الطلعة، باسم الوجه، يحب من يلاعبه ويتفاعل معه بصورة طفولية جميلة.

- مبروك يا حاج كامل، الولد شكله جميل وفي عينيه فراسة الكبار، ما أسميته يا حاج؟
- لحسن وجهه وملاحته سميته حسن.
- تبارك الله، بارك الله لك فيه وجعله من الصالحين.

نشأ الفتى في بيت علم وفكر، فتوجهت اهتماماته نحو الاطلاع والثقافة والتعرف على ما في الطبيعة من قوى.

شجعه على ذلك خاله الشيخ أحمد رضا الذي كان شغوفًا بالبحث والتعرف على الحقائق الطبيعية والاجتماعية والروحية.

وقد ظهرت علامات الذكاء والنبوغ على «حسن كامل الصباح» وهو في السابعة من عمره عندما ألحقه والده بالمدرسة الابتدائية فنال إعجاب معلميه، ثم التحق بالمدرسة السلطانية في بيروت سنة

١٩٠٨ فظهر نبوغه في الرياضيات والطبيعيات.

- لماذا أنت غاضب يا حسن من المدرسة؟
- الكتب المدرسية المقررة علينا ضعيفة ومستواها متواضع، لهذا أريد تعلم اللغة الفرنسية.
- ولماذا الفرنسية؟
- لأن الكتب العربية مترجمة بصورة سيئة من المراجع الإنجليزية والفرنسية ومن الأفضل قراءة الأصل بدلاً من الترجمة الركيكة.

وفى نهاية السنة الأولى له فيها أدرك الصباح عدم صلاحية الكتب الدراسية المقررة عليه مع طموحاته العلمية؛ فبدأ في دراسة اللغة الفرنسية للاطلاع على العلوم التي لم يكن يجدها في الكتب العربية آنذاك.

ثم التحق الصبّاح بالجامعة الأمريكية في بيروت، وأتقن اللغة الإنجليزية في مدة قصيرة، واستطاع حل مسائل رياضية وفيزيائية معقدة ببراعة وهو في السنة الجامعية الأولى، وشهد له أساتذته بقدراته، وتردد اسمه بين طلاب الجامعات اللبنانية، ووصفه الدكتور فؤاد صروف - أحد أساتذته - في مجلة المقتطف بأنه شيطان من شياطين الرياضيات.

- هذا هو حل المسألة التي كتبتها لكم على السبورة.
- هناك حل آخر للمسألة يا أستاذي.

- تفضل يا حسن ... دائمًا تفاجئنا بحلول أخرى لجميع المسائل الرياضية المعقدة.

نظر الدكتور في الورقة التي أعطاها له حسن ثم قال:

- فعلاً صدق من سماك شيطان الرياضيات.

التحق الصباح بقسم الهندسة في الجامعة الأمريكية، وأبدى اهتمامًا خاصًّا نحو الهندسة الكهربائية ونتيجة لما ظهر عليه من نبوغ في استيعاب نظرياتها وتطبيقاتها تبرع له أحد الأساتذة الأمريكيين البارزين بتسديد أقساط المصروفات الجامعية تقديرًا منه لهذا التفوق حين عرف أن ظروف أسرة الصباح المادية لا تسمح له بمواصلة الدراسة الجامعية.

- معذرة يا حسن فظروفنا المعيشية لا تسمح لك باستكمال الدراسة في الجامعة الأمريكية، فلتنقل إلى أي مدرسة عليا أو جامعة تأخذ مصاريف أقل.
- لا تقلق يا أبي فقد فرجها الله من عنده.
- كيف؟
- لقد تبرع أستاذي الأمريكي في قسم الكهرباء فدفع لي أقساط المصروفات الجامعية، وإن شاء الله بعد تخرجي سأسدد له ما دفعه.

عندما بلغ سن تأدية الخدمة العسكرية اضطر حسن إلى التوقف عن الدراسة عام ١٩١٦ والتحق بسرية التلغراف اللاسلكي.

فى عام ١٩١٨ توجه إلى العاصمة السورية دمشق؛ حيث عمل مدرسًا للرياضيات بالإضافة إلى متابعته دراسة الهندسة الكهربائية والميكانيكا والرياضيات.

وجه اهتمامه للاطلاع على نظريات العلماء في مجال الذرة والنسبية، وكان من القلائل الذين استوعبوا هذه النظرية شديدة التعقيد، وكتب حولها المقالات فشرح موضوع الزمان النسبي والمكان النسبي والأبعاد الزمانية والمكانية والكتلة والطاقة.

قال عنه العالم إستون فيما بعد: كان الوحيد الذي تجرأ على مناقشة آراء أينشتاين الرياضية وانتقادها والتحدث عن النسبية كأينشتاين نفسه.

وفى ١٩٢١ غادر دمشق وعاد إلى الجامعة الأمريكية مرة أخرى؛ لتدريس الرياضيات، وكان حريصًا على شراء المؤلفات الألمانية الحديثة في هذا المجال، ولكن في الوقت نفسه كان الصباح تواقًا إلى التخصص في مجال الهندسة الكهربائية.

وفى عام ١٩٢٧ توجه «حسن كامل الصباح» إلى أمريكا، والتحق بمدرسة الهندسة الكبرى المسماة مؤسسة ماسانشوستش الفنية، لكنه لم يتواءم مع التعليم الميكانيكي في هذه المؤسسة، كما عجز عن دفع رسومها فتركها بعد عام.

انتقل إلى جامعة إلينوي ولمع نبوغ الصباح قبل نهاية العام الدراسي الأول في هذه الجامعة، فقدم أستاذ الفلسفة الطبيعية بها اقتراحًا للعميد بمنح الصباح شهادة معلم علوم (M.A) إلا أن العميد

لم يوافق على الاقتراح؛ حيث كان يجب على الطالب أن يقضي عامين على الأقل في الجامعة قبل منحه أي شهادة.

وفكر الصباح في بدء حياته العملية؛ فالتحق بشركة الكهرباء العامة في ولاية نيويورك، وكانت تعتبر أعظم شركات الكهرباء في العالم، وفيها ظهرت عبقريته وتفوقه على المئات من المهندسين العاملين بالشركة.

لم تمضِ سنة واحدة على عمله بها حتى بدأت سلسلة اختراعاته التي نالت إعجاب رؤسائه؛ فخصصوا له مختبرًا ومكتبًا وعينوا عددًا من المهندسين الذين يعملون تحت إدارته. ووضع الصباح نظريات وأصولا جديدة لهندسة الكهرباء؛ فشهد له العلماء بالعبقرية ومن بينهم العالم الفرنسي الشهير موريس لوبلان.

بعث إليه الرئيس الأمريكي آنذاك بخطاب يؤكد فيه إعجابه بنبوغه واختراعاته، وأرسلت إليه شركات الكهرباء الكبرى شهادات تعترف بصحة اختراعاته، ومنها شركة وستنجهاوس في شيكاغو وثلاث شركات ألمانية أخرى.

وفى عام ١٩٣٢ منحه مجمع مؤسسة الكهرباء الأمريكي لقب «فتى مؤسسة مهندسي الكهرباء الأمريكية»، وهو لقب علمي لا يُعطى إلا إلى من اخترع وابتكر في الكهرباء، ولم ينل هذا اللقب إلا عشرة مهندسين في الشركة.

في مطلع عام ١٩٣٣ تمت ترقيته في الشركة، ومنح لقب «فتى العلم الكهربائي» وذلك بعد انتخابه من جمعية المهندسين

الكهربائيين الأمريكيين في نيويورك. واستطاع الصباح اكتشاف طرائق الانشطار والدمج النووي المستخدمة في صنع القنابل الهيدروجينية والنووية والنيترونية.

بدأ اختراعاته عام ١٩٢٧ بجهاز ضبط الضغط الذي يعين مقدار القوة الكهربائية اللازمة لتشغيل مختلف الآلات. وفي عام ١٩٢٨ اخترع جهازًا للتلفزة يستخدم تأثير انعكاس الإلكترونيات من فيلم مشع رقيق في أنبوب الأشعة المهبطية الكاثودية، وهو جهاز إلكتروني يمكن من سماع الصوت في الراديو والتليفزيون ورؤية صاحبه في آن واحد.

كما اخترع جهازًا لنقل الصورة عام ١٩٣٠، ويستخدم اليوم في التصوير الكهروضوئي، وهو الأساس الذي ترتكز عليه السينما الحديثة، وخاصة السينما سكوب بالإضافة إلى التليفزيون.

في العام نفسه اخترع جهازًا لتحويل الطاقة الشمسية إلى طاقة كهربائية مستمرة، وهو عبارة عن بطارية ثانوية يتولد بها حمل كهربائي بمجرد تعرضها لأشعة الشمس.

عرض حسن اختراعه هذا على الملك فيصل الأول ملك العراق ليتبناه، ولكنه مات ثم عرضه على الملك عبد العزيز بن سعود لاستخدامه في صحراء الربع الخالي، ولكن الصباح مات بعد فترة وجيزة.

وكان قد شرع قبيل وفاته في تصميم محرك طائرة إضافي يسمح بالطيران في الطبقات العليا من الجو، وهو شبيه بتوربينات الطائرة النفاثة.

شملت علوم حسن نواحي معرفية عديدة في مجالات الرياضيات البحتة والإحصائيات والمنطق والفيزياء وهندسة الطيران والكهرباء والإلكترونيات والتلفزيون.

تحدث عن مادة الهيدروليك وما ينتج عنها من مصادر للطاقة، واستشهد بشلالات نبع الصفا في جنوب لبنان ونهر الليطاني.

كما كانت له آراؤه في المجالات السياسة والاقتصادية والاجتماعية والحرية والاستعمار والمرأة والوطنية والقومية العربية، وكان ذواقًا للأدب ويجيد أربع لغات هي: التركية والفرنسية والإنجليزية والألمانية.

إنه حسن كامل الصباح العالم اللبناني من نوابغ المخترعين وكبار المكتشفين ورائد من رواد العلم البارزين على مستوى العالم، أولع بالرياضيات والطبيعيات.

سجل اختراعاته في ١٣ دولة منها: الولايات المتحدة الأمريكية، وبلجيكا، وكندا، وبريطانيا، وفرنسا، وإيطاليا، وأستراليا، والهند، واليابان، وأسبانيا، واتحاد دول أفريقيا الجنوبية، بالإضافة إلى العديد من النظريات الرياضية في مجال الهندسة الكهربائية، لذلك لقب بـ«أديسون الشرق»، اغتيل الصباح في الولايات المتحدة، وأحاط حادث اغتياله الغموض إلى يومنا هذا.

وقد حدثت الوفاة المفاجئة مساء يوم الأحد ٣١ مارس ١٩٣٥ وكان حسن كامل الصباح عائدًا إلى منزله فسقطت سيارته في

منخفض عميق ونقل إلى المستشفى.

لكنه فارق الحياة وعجز الأطباء عن تحديد سبب الوفاة خاصة وأن الصباح وجد على مقعد السيارة دون أن يصاب بأية جروح مما يرجح وجود شبهة جنائية خاصة وأنه كان يعاني من حقد زملائه الأمريكيين في الشركة، وذكر ذلك في خطاباته لوالديه.

حمل جثمان العالم اللبناني والمخترع البارع حسن كامل الصباح في باخرة من نيويورك إلى لبنان، وشيع في جنازة مهيبة إلى مثواه الأخير في مسقط رأسه ببلدة النبطية بجنوب لبنان، ورثاه رئيس شركة جنرال إلكتريك قائلا: إنه أعظم المفكرين الرياضيين في البلاد الأمريكية، و إن وفاته تعد خسارة لعالم الاختراع.

عربي كاد أن يحكم فرنسا

ولد العالم اللبناني في بلدة الدوير في ٣٠ أيلول عام ١٩٥١م، تلقى علـومه الأولى في الكلـية العاملية.

أمضـى المـرحلة الثـانويـة في ثانوية البر والإحسان، نال عام ١٩٧٣ شهادة الكفاءة في الرياضيات البحتة، بعدها بعام نال شهادة الكفاءة في الرياضيات التطبيقية والكفاءة في الفيزياء، وفي عام ١٩٧٧ نال شهادة دكتوراة حلقة ثالثة في الفيزياء، ثم نال شهادة دكتوراة دولة في علم الفيزياء عام ١٩٨١، وعمل أستاذا وباحثا في جامعات بنسلفانيا وهوبكنز وشريروك في الولايات المتحدة وكندا.

كانت فرنسا قد طلبت من العالم الراحل العمل لديها عقب حصوله على درجة الدكتوراه فوافق على تولي منصب أستاذ في جامعة جرونوبل إضافة إلى عمله كباحث في المركز الوطني للبحوث العلمية الذي يضم خلاصة العقول المفكرة في فرنسا كما

تولى مهام مدير قسم الفيزياء الميكانيكية والإحصائية في المركز بعد فوزه بالميدالية الفضية عن أبحاثه حول فيزياء المواد عام ١٩٨٩م.

لقب د. رمال كأصغر عالم في جيله على مستوى العالم، وصدر ذلك في مجلة العلوم والأبحاث الأميركية عام ١٩٨٤ م، منح عام ١٩٨٤ الميدالية البرونزية من المركز الوطني للبحث العلمي بفرنسا، ثم منح عام ١٩٨٨ الميدالية الفضية من المركز نفسه.

أصبح عام ١٩٨٨ مدير أبحاث في مركز الحرارات المنخفضة في غرنوبل، مثل المركز الوطني للبحث العلمي في مؤتمرات علمية بأميركا وكندا وبلجيكا وألمانيا.

يعد رمال حسن أحد أهم علماء العصر في مجال فيزياء المواد كما وصفته مجلة لوبوان، التي قالت أيضًا إنه مفخرة لفرنسا كما تعتبره دوائر البحث العلمي في باريس السابع من بين مائة شخصية تصنع في فرنسا الملامح العلمية للقرن الحادي والعشرين.

كما تمكن من التوصل إلى اكتشافات علمية مبهرة في مجال الطاقة ومن أبرز إنجازاته العلمية اكتشافاته في مجال الطاقة البديلة باستخدام الطاقة الشمسية والكهرباء الجوية والطاقة الصادرة عن بعض الأجسام الطبيعية و لم يستبعد وجود أصابع خفيه وراء الوفاة التي تتشابه مع وفاة العالم حسن صباح في عدم وجود آثار عضوية مباشرة على الجثتين.

جاءت وفاة العالم المسلم اللبناني الجنسية الدكتور رمال حسن رمال يوم الجمعة ٣١/٥/١٩٩١م في فرنسا، في ظروف مريبة حيث حدثت في المختبر ووسط الأبحاث العلمية التي تحدثت عنها فرنسا، كما جاءت الوفاة عقب وفاة عالم مسلم آخر هو الدكتور حسن كامل صباح الذي كان يعمل أيضًا في مجال الفيزياء.

تخليدًا لذكره ولعلمه استحدث المجمع الفرنسي للفيزياء جائزة يوروساينس تمنح منذ العام ١٩٩٩ في المجال العلمي تكريمًا لذكرى عالِم الفيزياء اللبناني الراحل رمال الذي اعتبر من ألمع اختصاصيي الفيزياء في القرن العشرين، وعقد في غرنوبل مؤتمر علمي نشرت أعماله في عدد خاص عام ١٩٩٣ .

كتب عنه عدة كتب منها:

- رمال حسن رمال: العالم اللبناني الذي كاد يحكم فرنسا في هذا الكتاب ترجمة لرجل عظيم من لبنان هو «رمال حسن رمَّال» الذي لم تسعه آفاق بلدته الدّوير، ولا سماء وطنه لبنان، فقرر السفر إلى فرنسا، وتخيّرَ المركز الوطني للبحوث العلمية فيها فجعله ميدانًا لعمله وساحة لنشاطاته.

هذا ولم يتوقف نهر عبقريته عند حدود فرنسا وحدها وإنما واصل تدافُعه واندفاعه حتى عم بلاد العالم كله بخيراته وعطاءاته. سيّما بعد أن تمكن من السيطرة على علوم الرياضة وفروضها وأدخلها مادة هينةً في علوم الفيزياء والطاقة المنخفضة

فأوجد بذلك معادلة فريدة مبتكرة لم يسبقه إليها أحد من العلماء أو المشتغلين بهذه الحقول.

ثم ما لبث أن ملأ الحياة كلها عطاءً وغنىً فكريًا ونشاطًا علميًا واسعًا بما قدمه من محاضرات وندوات ومقالات واكتشافات وأبحاث ستبقى جميعها ساطعة مشرقة على صفحات المجد والخلود.

❖ ❖ ❖

عبير الطب

نجحت العالمة اللبنانية عبير أحمد عياش في تطوير علاج لوباء الالتهاب الرئوي اللانمطي «سارس».

وكان أهل العالمة اللبنانية عبير أحمد عياش (٣٠ عامًا) قد تلقوا بلاغًا من وزارة الخارجية اللبنانية بالعثور على جثتها في شقتها إثر تعرضها لحادث مرور، دون إعطاء أية تفاصيل بعد أسبوع على وفاتها.

لكن عائلتها شككت في ذلك، سيما وأن عياش عملت في مستشفى «روتيل ديو وجورج بومبيدو» في باريس، مرجحين اغتيالها من قبل الموساد الإسرائيلي أو أجهزة استخبارية غربية. وزع شقيق الدكتورة نزيه عياش بيانًا جاء فيه:

قتلت أختي الدكتورة عبير أحمد عياش، في باريس، وهي من مواليد كرم عصفور ـ قضاء عكار في ١٩٧٣/١٠/٢٥، والتحقت بجامعة القديس يوسف في اختصاص الطب، وكانت من المتفوقين والمبدعين باعتراف مدير وأساتذة الجامعة.

وأشار إلى أنها أعدت رسالة الدكتوراة بعنوان أعراض الذبحة القلبية وهو من المواضيع النادرة في هذا التخصص.

حصلت الدكتورة عبير عياش على جائزة مالية وتنويهًا على

ذلك، قدمت بعد ذلك أوراقها لمتابعة اختصاصها ودراساتها العليا في فرنسا بالأمراض الصدرية، سرطان الرئة.

كانت من القلائل الذين قُبلوا من منطقة الشرق الأوسط في جامعة Reve Descartes عام ١٩٩٨، وقد عملت في أهم مستشفيات فرنسا: أوتيل ديو وجورج بومبيدو.

كانت تضع نصب عينيها هدفًا هو اكتشاف علاج للأمراض الصدرية الخبيثة، ولها أبحاث عديدة في مختلف نواحي هذا التخصص».

وأضاف: «كانت شقيقتي تُحدّث أهلي، ومؤخرًا أخبرتنا أنها تسعى لاكتشاف علاج جديد، وستوضح تفاصيله لنا في حينه، وأخبرتنا أنها تنوي زيارتنا خلال الصيف المقبل، وبدت متفائلة في عملها ودراستها.

كما أخبرتنا أنها تنوي متابعة أبحاثها في الولايات المتحدة الأميركية، وبعد هذا الاتصال حاول الأهل جاهدين الاتصال بها دون جدوى.

كان هاتفها الخلوي يرن ولا أحد يجيب، وفجأة رن هاتف منزلنا، وكان على الخط وزارة الخارجية اللبنانية حيث أبلغتنا بدون مقدمات أن الدكتورة عبير تعرضت للوفاة نتيجة حادث، دون أن تقدم أي توضيحات حول أسباب وفاتها، فأجرينا اتصالات مع أصدقائها فأخبرونا أنها وجدت مقتولة في غرفتها.

وكشفت مصادر مطلعة أن الطبيبة اللبنانية أبلغت بعض زملائها وزميلاتها في باريس قبل العثور على جثتها أنها توصلت إلى تركيب دواء يسهم بفعالية و إلى حد كبير في معالجة داء الالتهاب الرئوي الحاد سارس، الذي يزداد عدد ضحاياه. وتستمر الأسباب المجهولة في مصرعها إلى أن يحين الزمن الذي نكتشف فيه أسرار مصرعها.

❖ ❖ ❖

قلبت موازين عمليات الجراحة فقتلوها

دكتورة وشابه طموحة في مقتبل العمر ارتكبت بحقها جريمة بشعة دون أن ترتكب أدنى فعل يستحق ما حدث لها. لقد كانت الدكتورة سعودية الجنسية وكان لها أكبر الأثر في قلب موازين عمليات جراحات المخ والأعصاب، كما أنها جعلت من الجراحات المتخصصة الصعبة جراحات بسيطة سهلة بالتخدير الموضعي.

درست هذه الطبيبة وتخرجت في مدرسة الطب في جامعة الملك فيصل وقد توفي والدها في حادث مريع تعرض خلاله إلى كسر في الجمجمة ومن هنا أصرت وقررت أن تكون أول جراحة سعودية تتخصص في هذا المجال ونظرًا لعدم وجود هذا النوع من الدراسات في البلاد العربية فقد تغربت وتقدمت وقتها لمجلس الدراسات العليا في الولايات المتحدة الاميركية واجتازت اختبارات الامتياز لتنضم لجامعة من أعرق جامعات الطب في أميركا وهي جامعة شارلز درو للطب والعلوم في مستشفى مارثن لوثر كنج.

بعد أن تأهلت وأنهت دراستها في هذا التخصص الصعب عملت جاهدة على ترتيب معايير الإصابات الدماغية وطرق علاجها وقد استفاد العالم كله من أبحاثها الطبية واختراعاتها التي جعلت الطب في تطور مستمر وكان من اختراعاتها جهاز الاسترخاء العصبي

وهو عبارة عن وحدات من أجهزة الكمبيوتر المحاكي تستطيع من خلالها تحريك وشفاء الأعصاب المصابة بالشلل بإذن الله تعالى.

كذلك اخترعت الشهيدة جهاز الجونج وهو جهاز فريد من نوعه يساعد على التحكم بالخلايا العصبية ما بين فتحها و إغلاقها، وهذا الجهاز يعتبر الوحيد في العالم إضافة للاختراع الذي يساعد على اكتشاف حالات السرطان المبكرة. كما أنها حصلت على براءة الاختراع من المجلس الطبي الاميركي P.C.T ومن هنا بدأت لحظات عمر الدكتورة السعودية سامية ميمني بالعد التنازلي.

وقالت الراية القطرية إنه قد عرض عليها مبلغ من المال والجنسية الأميركية مقابل التنازل عن بعض اختراعاتها، ولم يكن المبلغ بسيطا بل كان العرض خمسة ملايين دولار أميركي إضافة للجنسية الأميركية ، لكن الدكتورة البارعة لم تقبل بهذا العرض بل قالت: فائدة اختراعي ستعم العالم كله وليس بلادي فقط.

استمرت الدكتورة سامية في دراستها و إنجاز أبحاثها ولم يصبها اليأس إلى أن حلت الفاجعة الكبرى عندما نشرت محطة ال CNN صورًا لجثة الدكتورة الشهيدة وقد تعرف عليها أهلها عن طريق الصدفة لمشاهدتهم هذه القناة التي بثت الواقعة وصور الدكتورة سامية ميمني، حيث قتلت خنقا في شقتها ووجدت جثتها في إحدى المدن الأميركية داخل ثلاجة عاطلة عن العمل.

و يشاء الله أن يتم القبض على الجاني من خلال فاتورة هاتف

منزلها وعن طريق البصمات التي وجدت في مكان الجريمة إلا أنه لا يزال ينكر ارتكابه للجريمة البشعة في حق هذه الفتاة العربية والمسلمة وصاحبة الاختراعات الطبية المتميزة.

كما أن الجاني سرق أثاث شقة الشهيدة وأبحاثها الطبية وبراءة الاختراع إضافة لكل ما تملكه من مال ومصوغات وأزهق روحها وألقى بها في ثلاجة قديمة في أحد شوارع المدينة.

السؤال هنا يفرض نفسه لماذا قتلت الدكتورة سامية؟ وأين اختفت أبحاثها واختراعاتها وبراءة الاختراع؟ وما الهدف المنشود من وراء هذه الحادثة البشعة؟

هذه المقاله كتبت بواسطة أحد زملاء الطبيبة الشهيدة:

في سفري هذا لأداء الامتحانات، سألني أحد الأطباء عن طبيبة سعودية مشهورة عندهم مجهولة عندنا، هذه الطبيبة كان لها الأثر الكبير في قلب موازين عمليات جراحات المخ والأعصاب جعلت من الجراحات المتخصصة الصعبة، جراحات بسيطة سهلة وبالتخدير الموضعي أيضًا.

رجعت بي الذاكرة إلى الوراء خمس سنوات مرت تقريبا، تعرفت بها على تلك الفتاة الناضجة المسلمة التي جعلت من الطب مهنه محترمة للنساء في بلدها، تجعلنا نقف احترامًا لتلك الإنسانة دائمًا وأبدًا.

في ذلك اليوم عام ١٩٩٧ م قابلت الطبيبة في بالوبيتش، وقد كانت هي المرة الأولى التي أقابلها على الرغم أني سمعت عنها الكثير.

قابلتها بحجابها الإسلامي الملتزم وبكلامها المحتشم، وكنا وقتها بصدد إنشاء معمل إزالة الأورام باستخدام جهازها.

قالت الطبيبة: لماذا لا تعمل في السعودية؟

قلت: إنني استجمع خبرات العمل، ولا بد لي في يوم أن أرجع بإذن الله .

قالت: سوف أسافر لمكة لأداء العمرة، وسوف أدعو لك بالتوفيق.

كانت كلماتها بسيطة و معبرة، تأخذك في مجال الأبحاث وكأنها عملاقة في علمها رقم صغر سنها.

بلهجتها الحجازية المتسارعة قالت إن الأمر يكان عرضوا عليها مبلغا من المال والجنسية .. فما رأيكم؟

كنا وقتها مجموعة من الشباب السعودي منا من هو مقيم ويعمل، ومنا من هو مازال يدرس وينتظر تخرجه ليعود لأرض الوطن،حارت النظرات فقد كان المبلغ خمسة ملايين دولار، يحلم بها أي باحث طبي لينشأ معمله الخاص، في أي مكان.

ليس هذا فقط، بل أعطيت الدكتورة - رحمها الله- عرضا بالجنسية ما إذا وافقت على العرض من الجانب الأمريكي.

كانت الدكتورة تقول دائمًا:يا رب سهل لي أمري يا رب سهل لي أمري.

كنت أقول مازحًا: راح يكون سهل -إن شاء الله- بس إنت شدي حيلك.

تردوتقول: أكثر من كدا راح ينقطع.

لم تنظر الطبيبة لوصيتنا بأن عليها مغادرة الأراضي الأمريكية فورًا، بل استمرت في دارستها وتعلمها وأبحاثها في تطوير الجهاز،استمرت وهي تطلب من الله أن ينصرها وأن يحفظها .

سافرت أنا ومجموعة العمل إلى تاكسس حيث مقر عملي الأساسي،وبعدها بسبعة أشهر وأنا أشاهد الأخبارسمعت أن الدكتورة سامية الميمني قد قتلت خنقًا في شقتها وجدت جثتها في أحد المدن القريبة من بلوبتيش في سيارة تستخدم لأغراض التبريد والتي لم تعد تستعمل من قبل الشركة مالكة السيارة.

اهتزت الدنيا في أول ثلاثة أيام في أمريكا، واهتز مجلس الطلبة السعوديين، واهتزت السفارة السعودية، واهتزت أنفسنا من الداخل.

بكينا بكاءً مرًا على تلك العالمة السعودية التي أرادت أن تجعل من الفتاة السعودية فتاة يحتذي بها في الالتزام بالشرع، وبالتعلم حتى وصلت لأعلى مراتب العلم في تخصص يعد من أصعب تخصصات الطب حتى الآن.

بعد أسبوع من الحادثة تم الإعلان عن القبض على رجل يعمل حارسًا للعمارة التي قد كانت تسكن بها الطبيبة،رحمها الله.

زج به إلى السجن المؤبد، وقفل ملف القضية، بعد أن حكم عليه بسبب وجود بصماته على الشريط اللاصق الذي استخدمه

لسرقة أثاث القتيلة ومعها أبحاثها وبراءة الاختراع، وكل ما تملك من مال ومصاغ.

أقفلت القضية رغم أن القاتل لم يعترف بأنه هو الجاني، وعلى الرغم من الحكم المخفف الذي حكم عليه .. فهو ما زال ينكر بأنه هو الفاعل.

والسؤال.. لو قلنا إن هذا القاتل وهو حارس العمارة .. والذي عثر بعد القبض عليه على جميع الأثاث مخزنًا في أحد الشقق القريبة من العمارة إياها .. لكن أين ذهبت أوراق الأبحاث ..؟وأين ذهبت أوراق الاختراع .. ؟

تم نقل جثمان الطبيبة لمكة المكرمه-.. رحمها الله وأسكنها فسيح جناته- ..وغفر لها.

❖ ❖ ❖

اغتيال فكر

الدكتورة سلوى حبيب الأستاذة بمعهد الدراسات الإفريقية كانت من أكثر المناهضين للمشروع الصهيوني، وصبت اهتمامها في كشف مخططات القادة الإسرائيليين نحو القارة الإفريقية.

ربما كان كتابها الأخير «التغلغل الصهيوني في أفريقيا»، والذي كان بصدد النشر، مبررًا كافيًا للتخلص منها، حيث عثر على جثتها وهي مذبوحة في شقتها وفشلت جهود رجال المباحث في الوصول لحقيقة مرتكبي الحادث، خاصة أن سلوى حبيب كانت نموذجًا أقرب لنموذج الدكتور جمال حمدان فيما يتعلق بالعزلة وقلة عدد المترددين عليها.

وحاول الكثيرون التنحي بقضية قتلها جانبًا و إدخالها في إطار الجرائم الأخلاقية، وهو ما نفاه البوليس المصري، ليظل لغز وفاتها محيرًا، خاصة أنها بعيدة عن أي خصومات شخصية وأيضًا لم يكن قتلها بهدف السرقة.

لكن إذا رجعنا لأرشيفها العلمي سنجد ما لا يقل عن ثلاثين دراسة في التدخل الصهيوني في دول أفريقيا على المستوى السياسي والاقتصادي والاجتماعي، وبشهادة الجميع كانت هذه النقطة من الدراسة ملعبها الذي لا يباريها أحد فيه، الأمر الذي يجعلنا ويجعل الجميع يشير بإصبع الاتهام إلى «إسرائيل» ودورها في قتلها.

مهندس مدني

الدكتور محمد الحربي ابن البروفيسور حامد الحربي، أسلم على يديه ثمانية من العلماء الأمريكيين، وأنه كان يطور أبحاثًا كبيرة وسابقة من نوعها، اغتالته الأيدي الآثمة في الولايات المتحدة الأمريكية، بعدما تناول وجبة مسممة أصابته بمرض خطير توفي على أثره هو وزوجته.

لنتعرف على قصته تعالوا نقرأ رسالته على الفيس بوك قبل موته.

بسم الله الرحمن الرحيم

إخواني أرجو منكم سماحي والدعاء لي بالشفاء العاجل، فقد أصبت بمرض خطير أجاركم الله وأبعدكم عن هذا المرض لا يرجى شفاؤه أبدًا، حسب ما قالت اللجنة الطبية بالمستشفى ...

وأن السبب الرئيسي في ذلك طعام قدم لي في مقر المطعم الجامعي، والتحقيق جارٍ ولم يجدوا المتسبب في ذلك أو الفاعل، وقالوا لي إنه سيمهلك شهرًا على أقل تقدير ثم يأخذ الله أمانته.

حقيقة إن كلامهم هذا لاعلي به ولا أومن به أصلًا، فإن الشافي هو الله والمعافي هو الله- فرحماك يا ربي رحماك ياالله-.

امرأتي الآن تحمل ببطنها توأمًا بشهرها السادس، لكم أن تسموني أبا القاسم وأنوي أن أسمي الابنة فاطمة فلا أعلم هل التقي بهم في دنياي أم في آخرتي .

أبدأ حديثي دائمًا مبتدأً باسم خالق هذا الكون القادر على كل شئ، أحييكم بتحية الإسلام الخالدة تحية أهل الجنة السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

لا أريد أن أقول لكم تجرعت ألآلام وكتبت هذه الحروف بمحبرة الدم، لأني مؤمن دائمًا وأبدًا بقضاء الله وقدره.

قال الله -تعالى- بمحكم تنزيله ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۟ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ صدق الله العظيم.

ولكن والله لأحتسبنها عند ملك الملوك،عند من ينصف المظلوم من الظالم،عليهم من الله ما يستحقون ..

إخواني إن طرحي هذا يتمحور حول أحداث وقعت لي، للأسف الشديد بذلت الغالي والنفيس في سبيل إنقاذ أهالي المملكة العربية السعودية، بحكم تخصصاتي ودراستي هذه التي درستها، أسألكم بالذي رفع هذه السموات بلاعمد، ألا يستحق وطني وأبناء وطني أن أفيدهم من الذي استفدته، أم أكتم هذا العلم حتى ألجم يوم الحساب بلجام من نار بسبب كتمان هذا العلم؟

لربما إلى الآن لم تستوعبوا مالذي جرى لي شخصيًا، والله أكاد أجن حتى أني اعتنقت أفكارًا كادت أن تؤدي بي إلى التهلكة، لولا لطف الله بي؛ فهداني إلى محرابي لأصلي تلك الركعات بين يدي المولى- عز و جل- أبتهل إليه و أتضرع بأن يرحمني برحمته.

اليوم انتهيت من مخططات تصريف السيول لكل من - جدة - الرياض - الدمام -طبعًا بالتعاون مع جامعتي طوداي طوكيو وجامعة هارفارد بقسم الهندسة المدنية (البنية التحتية).

هل تعلمون تكلفة هذا المشروع الجبار ونسبة نجاحة ٩٩,٩٨٪؟

التكلفة ما يقارب أكثر من ٨٠,٠٠٠ الف دولار أمريكي، طبعا ليست من حسابي الخاص كامل المبلغ و إنما لي ثلث المبلغ، وثلثي المبلغ أتاني من كبار رجال الأعمال بالمملكة العربية السعوية وبعض من كبار الشخصيات المعروفة،وغير معروفة من أغلب الدول العربية من بينها الخليج العربي، من ثقتي بمشروعي.

أجرينا تجارب وهمية لأمطار تقع على هذه المدن، هل تعلمون كم كانت كمية الأمطار التي هطلت على مدينة جدة؟(٧٢,٥) ملم حسب ماسجل، هذه الكمية البسيطة انظروا ماذا فعلت لأن شبكات التصريف لم تتحمل؟

حتى تستوعبوا قوة المشروع الذي لدي يتحمل حتى ٦٢٠ ملم أضعاف أضعاف كمية هطول الأمطار التي وقعت سابقًا، ولكن مع

هذا المشروع الذي للأسف كان بمعيتي، لن تجد قطرة واحدة بعد توقف هطول الأمطار مباشرة.

والنسب المعمول بها في اليابان والولايات المتحد الامريكة أكثر من ١٥٠٠ ملم خصوصًا اليابان، ولكن بقي أن تعرفوا ماذا حدث لي؟

للأسف لا أعلم هل هو كان غباءً مني أو كان قضاءً وقدرًا؟، قمت بإرسال كافة المشاريع والأوراق الثبوتية والاعتمادات للمواصفات والمقاييس، وتكلفة المشروع ومدة المشروع النهائية، تم إرسالها إلى وزارة البلدية والقروية.

جاءني الرد عن طريق وزارة الخارجية بفترة وجيزة، إنها الصدمة الأولى صدمة لم أصدم بها في حياتي، حتى بوفاة أقرب الأقربين لي لم أصدم مثلها.

ما الرد طبعًا بعد الاطلاع والخ... أنه لا يقبل مشروعك هذا بأي وجه من الأوجه لعدم مطابقته تمامًا للمواصفات والمقاييس السعودية، لذا فإنه تم إتلاف جميع المخططات والمشاريع المرسلة إلينا، مع خالص الشكر ..

حقيقةً لا أعلم من هو المرسل بتاتًا البتة، وتم اختراق بريدي الالكتروني الشخصي، والآن أواجه متاعب عدة بسبب هذا المشروع، إلى الآن لم أعثر على كامل المخططات ولكن سأحضرها بإذن الله تعالى.

هل تعلمون لماذا لم تحز على رضاهم؟

أولًا: من خصائص المشروع لا يقبل السرقة و إن تمت سرقة ما فإنها مكشوفة لدى الجميع.

ثانيًا: تكلفة المشروع لمدينة جدة من ٢٥٠ مليون إلى ٥٠٠ مليون ريال، أما تكلفة مشاريعهم تقريبا ٦ مليارات وتكلفة التنفيذ الفعلي ١٠٠ مليون ريال، وتعلمون جيدًا أن تذهب الخمسة مليار و٩٠٠ ألف ريال سعودي ..

ثالثًا: مدة مشروعي ٥ سنوات مع الدراسة، الدراسة تم الانتهاء منها بقي أربع سنوات فقط للتنفيذ.

رابعًا: الشركة المنفذة ليست شركة داخلية أي شركة سعودية، بل هي خمسة شركات أمريكية يابانية ..

خامسًا: مدة مشاريعهم تعد بالعشر والعشرين سنة حتى يأخذوا أريحيتهم كاملة .

هذا مالدي وجئت أشكو حالي إليكم لأخرج ما بجوفي من قهر وظلم وكبت شديدين، فما رأيكم أيها الإخوة الأحبة بحديثي هذا الذي حصل معي، إني لأجزم إن كان شخص غيري لقتل نفسه، لأن تكلفة الدراسة فقط أكثر من ٨٠,٠٠٠ ألف دولار أمريكي ..

ولكن لنا جنات النعيم يارب.

والله لم أجهد نفسي هكذا بدون جدوى، ولكن مما رأيت من المآسي التي تقطع نياط القلوب، أود أن تحققوا لي مرادي إن

لم أثقل عليكم جميعا بطلبي هذا، أريدكم أن تضعوا إعلانا لهذا الطرح بهذا الصرح العامر حتى يرى الجميع، مدى الاستهتار والتسيب والظلم والجور والبهتان والفسادات الإدارية.

❖ ❖ ❖

عالم من فلسطين

نبيل أحمد فليفل، عالم ذرة عربي شاب، استطاع دراسة الطبيعة النووية وأصبح عالمًا في الذرة وهو في الثلاثين من عمره، وكان ينوى الاستمرار في دراسة مادة القرن الواحد والعشرين، وتمكن من القيام بدراساته كاملة، وكان- رحمه الله- يلتهم كل ما تقع عليه عينه من كتب الذرة.

وعلى الرغم من أنه كان من مخيم «الأمعري» في الأراضي الفلسطينية المحتلة، فقد رفض كل العروض التى انهالت عليه - وفي الخفاء وعن طريق الوسطاء - للعمل في الخارج وكان يشعر أنه سيخدم وطنه بأبحاثه ودراساته العالمية، وفجأة اختفى الدكتور نبيل ثم في يوم السبت الموافق ١٩٨٤/٤/٢٨ عثر على جثته في منطقة « بيت عور» ولم يتم التحقيق في شيء.

❖ ❖ ❖

قائمة بالعلماء والأكاديميين العراقيين الذين طالتهم أيادي الغدر .

انشأ الرئيس العراقي الراحل صدام حسين جيشًا من العلماء، قدره البعض بنحو خمسة آلاف .. لكن فرق الموت من الموساد الاسرائيلي نشطت في العراق منذ أيام الاحتلال الأميركي، وأبرز تقرير صادر عن مركزالمعلومات الأميركي أن الموساد قام باغتيال ٥٣٠ عالمًا عراقيًا وأكثر من ٢٠٠ أستاذ جامعي وشخصيات أكاديمية.

طبقًا للتقرير فإن عناصر الموساد كانت تعمل في العراق بقصد تصفية علماء الذرة والبيولوجي من بين علماء آخرين. وكان هذا بعد أن فشلت الولايات المتحدة في إقناع هؤلاء للتعاون معها أو العمل في خدمتها.

وما جرى في العراق جرى لإيران أيضا فقد قام الموساد الاسرائيلي باغتيال علماء إيرانيين وهم مسعود على محمدي عام ٢٠١٠ حيث اعترف من اغتاله بأنه تلقى أموالا من الموساد

الإسرائيلي، ثم مجيد شهرياري عام ٢٠١٠ ايضا، وبعده داريوش رضايي نجاد عام ٢٠١١، ثم مصطفى أحمدي روشن عام ٢٠١٢.

وقد اعترفت صحيفة «هآراتس» الصهيونية بأن الموساد وراء اغتيال هؤلاء العلماء، فيما أكدت الصحف الأميركية أن الرئيس الأميركي أوباما قال لنتنياهو «كفوا عن اغتيال علماء الذرة الإيرانيين».

في كارثة أقل ما يقال فيها إنها تمثل أكثر مآسي القرن الحادي والعشرين.. تم استهداف مجموعة كبيرة من العقول والأدمغة من مختلف الاختصاصات.

هؤلاء الذين يمثلون نخبة العراق المميزة التي كانت رأس مال العراق على مر عشرات السنين من العمل والعلم المتواصل.

في سعي من بعض الجماعات السياسية التي تقوم بتنفيذ مخطط يسعى لإفراغ العراق من هذه النخبة ذات الفكر المستقل والشهادات العليا في كافة التخصصات، في محاولة لفرض أجندتهم الخاصة على هذا البلد المنكوب بالاحتلال ووقف عجلة التطور في المجتمع العراقي.

ولأهمية هؤلاء ونحتسب منهم من مات على الإسلام أنه شهيد في ضمير وتاريخ العراق الحديث وتخليدًا لأسمائهم ودورهم تنشر الاتجاه الآخر أسماء بعض من علماء العراق الذين اغتيلوا على يد قوى الإرهاب والاحتلال مع ذكر اختصاصاتهم العلمية

منذ احتلال العراق وحتى أواخر عام ٢٠٠٦.

١. الأستاذ الدكتور محمد عبدالله الراوي، رئيس جامعة بغداد، نقيب الأطباء العراقيين، زميل الكلية الملكية الطبية، اختصاص باطنية، اغتيل في عيادته الطبية بمنطقة المنصور عام ٢٠٠٣.

٢. أ.د.مكي حبيب المؤمن، خريج جامعة مشيجان الأميركية اختصاص في مادة التاريخ المعاصر، أستاذ سابق في جامعة البصرة وبغداد ومركز الدراسات الفلسطينية وجامعتي أربيل والسليمانية. بعد السقوط تعرض إلى حادث سيارة مفتعل وتوفي يوم ٢٠٠٣/٦/٢٠ بعد أن أقعده المرض.

٣. أ. د. محمد عبد المنعم الأزميرلي، جامعة بغداد، كلية العلوم، قسم الكيمياء، من مصر العروبة يحمل الجنسية العراقية، تمت تصفيته من قبل قوات الاحتلال في معتقل المطار منتصف عام ٢٠٠٣ لأنه يحمل دكتوراة كيمياء وهو عالم متميز وعمل في مراكز بحثية متخصصة.

٤. أ. د. عصام شريف محمد التكريتي، جامعة بغداد، كلية الآداب، قسم التاريخ، عمل سفيرًا للعراق في تونس منتصف التسعينات، اغتيل في منطقة العامرية يوم ٢٠٠٣/١٠/٢٢ مع (٥) أشخاص من أصدقائه.

٥. أ. د. مجيد حسين علي، جامعة بغداد، كلية العلوم، متخصص

في مجال بحوث الفيزياء النووية، تمت تصفيته مطلع عام ٢٠٠٤ لأنه عالم ذرة.

٦. أ. د. عماد سرسم، أستاذ جراحة العظام والكسور، زميل كلية الجراحين الملكية عميد كلية الطب في جامعة بغداد سابقًا، عضو الهيئة الإدارية لنقابة الأطباء العراقيين، عضو اتحاد الأطباء العرب.

٧. أ. د.صبري مصطفى البياتي، رئيس قسم الجغرافية، كلية الآداب، جامعة بغداد، اغتيل في حزيران ٢٠٠٤

٨. أ. د. أحمد الراوي، أستاذ سابق في كلية الزراعة، جامعة بغداد/قسم التربة، نسب للعمل في مركز (إباء) التخصصي. قتل مع زوجته عام ٢٠٠٤ على الطريق السريع في منطقة الغزالية.

٩. أ. د. عدنان عباس خضير السلماني، مدير في وزارة الري، أستاذ في كلية المأمون، اختصاص تربة استشهد في الفلوجة عام ٢٠٠٤

١٠. أ. د. وجيه محجوب الطائي، اختصاص تربية رياضية، مدير عام التربية الرياضية في وزارة التربية.

١١. أ.د. علي حسين كامل، جامعة بغداد، كلية العلوم، قسم الفيزياء.

١٢. أ. د. مروان مظهر الهيتي، جامعة بغداد، كلية الهندسة، اختصاص هندسة كيميائية.

١٣. أ. د. مصطفى المشهداني، جامعة بغداد، كلية الآداب، اختصاص علوم إسلامية.

١٤. أ. د. خالد محمد الجنابي، جامعة بابل، كلية الآداب، اختصاص تاريخ إسلامي.

١٥. أ. د. شاكر الخفاجي، جامعة بغداد، شغل منصب مدير عام الجهاز المركزي للتقييس والسيطرة النوعية، اختصاص إدارة أعمال.

١٦. أ. د. عبد الجبار مصطفى، عميد كلية العلوم السياسية، جامعة الموصل، اختصاص علوم سياسية.

١٧. أ. د. صباح محمود الربيعي، عميد كلية التربية، الجامعة المستنصرية.

١٨. أ. د. أسعد سالم شريدة، عميد كلية الهندسة، جامعة البصرة، دكتوراة هندسة.

١٩. أ. د. ليلى عبدالله سعيد، عميد كلية القانون، جامعة الموصل، دكتوراة قانون، اغتيلت مع زوجها.

٢٠. أ. د. منير الخيرو، زوج د. ليلى عبد الله، كلية القانون، جامعة الموصل، دكتوراة قانون.

٢١. أ. د. سالم عبد الحميد، عميد كلية الطب، الجامعة المستنصرية، اختصاص طب وقائي.

٢٢. أ. د. علاء داود، مساعد رئيس الجامعة للشؤون العلمية، جامعة البصرة.

٢٣. أ. د. حسان عبد علي داود الربيعي، مساعد عميد كلية الطب، جامعة بغداد.

٢٤. أ. د. مروان رشيد، مساعد عميد كلية الهندسة، جامعة بغداد.

٢٥. أ.د. فلاح علي حسين، عميد كلية العلوم / الجامعة المستنصرية.

٢٦. مصطفى محمد الهيتي، عميد كلية الصيدلة، جامعة بغداد، اختصاص علوم الصيدلة.

٢٧. أ. د. كاظم مشحوط عوض، عميد كلية الزراعة، جامعة البصرة.

٢٨. أ. د. جاسم محمد الشمري، عميد كلية الآداب / جامعة بغداد.

٢٩. أ. د. موفق يحيى حمدون، معاون عميد كلية الزراعة، جامعة الموصل.

٣٠. أ. د. عقيل عبد الجبار البهادلي، معاون عميد كلية الطب، جامعة النهرين.

٣١. أ. د. إبراهيم طلال حسين، معاون عميد كلية التربية، الجامعة المستنصرية.

٣٢. أ. د. رعد شلاش، رئيس قسم البايولوجي، كلية العلوم، جامعة بغداد.

٣٣. أ. د. فؤاد إبراهيم محمد البياتي، رئيس قسم اللغة الألمانية، كلية اللغات، جامعة بغداد، اغتيل أمام منزله في حي الغزالية

في بغداد يوم ٢٠٠٥/٤/١٩

٣٤. أ. د. حسام الدين أحمد محمود، رئيس قسم التربية، كلية التربية، الجامعة المستنصرية.

٣٥. أ. د. عبد اللطيف علي المياح، معاون مدير مركز دراسات الوطن العربي، جامعة بغداد، اغتيل أوائل عام ٢٠٠٤ بعد يوم واحد من ظهوره على شاشة إحدى الفضائيات العربية وهو يطالب بإجراء انتخابات نيابية.

٣٦. أ. د. هشام شريف، رئيس قسم التاريخ، جامعة بغداد.

٣٧. أ. د. إيمان يونس، رئيس قسم الترجمة، جامعة الموصل.

٣٨. أ. د. محمد كمال الجراح، اختصاص لغة إنكليزية، جامعة بغداد، نسب للعمل في المملكة المغربية، آخر موقع له مدير عام في وزارة التربية، اغتيل في منطقة العامرية يوم ٢٠٠٤/٦/١٠

٣٩. أ. د. وسام الهاشمي، رئيس جمعية الجيولوجيين العراقية.

٤٠. أ. د. رعد عبد اللطيف السعدي، مستشار في اللغة العربية، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، اغتيل يوم ٢٠٠٥/٥/٢٨ في منطقة البياع ببغداد.

٤١. أ. د. موسى سلوم أمير الربيعي، معاون عميد كلية التربية، الجامعة المستنصرية، اغتيل يوم ٢٠٠٥/٥/٢٨ في منطقة البياع ببغداد.

٤٢. أ. د. حسين ناصر خلف، باحث في كلية الزراعة، مركز بحوث النخيل، جامعة البصرة، بتاريخ ٢٠٠٥/٥/٢٢ عثر على جثته في منطقة الفيحاء بعد اختطافه يوم ٢٠٠٥/٥/١٨.

٤٣. أ. د. محمد تقي حسين الطالقاني، دكتوراة فيزياء نووية.

٤٤. أ. د. طالب إبراهيم الظاهر، جامعة ديالى، كلية العلوم، اختصاص فيزياء نووية، اغتيل في بعقوبة شهر آذار ٢٠٠٥ .

٤٥. أ. د. هيفاء علوان الحلي، جامعة بغداد، كلية العلوم للبنات، اختصاص فيزياء.

٤٦. أ. د. عمر فخري، جامعة البصرة، كلية العلوم، اختصاص في العلوم البيولوجية.

٤٧. أ. د. ليث عبد العزيز عباس، جامعة النهرين، كلية العلوم .

٤٨. أ. د. عبد الرزاق النعاس، جامعة بغداد، كلية الإعلام، اغتيل يوم ٢٠٠٦/١/٢٨

٤٩. أ. د. محمد فلاح هويدي الجزائري، جامعة النهرين، كلية الطب، اختصاص جراحة تقويمية، اغتيل يوم عودته من أداء فريضة الحج مطلع عام ٢٠٠٦ وهو طبيب في مستشفى الكاظمية التعليمي.

٥٠. أ. د. خولة محمد تقي، جامعة الكوفة، كلية الطب.

٥١. أ. د. هيكل محمد الموسوي، جامعة بغداد، كلية الطب.

٥٢. أ. د. رعد أوخسن البينو، جامعة الأنبار، كلية الطب، اختصاص جراحة.

٥٣. أ. د. أحمد عبد الرحمن حميد الكبيسي، جامعة الأنبار، كلية الطب، عضو هيئة التدريس.

٥٤. أ. د. نؤيل بطرس ماثيو، المعهد الطبي، الموصل.

٥٥. أ. د. حازم عبد الهادي، جامعة بغداد، كلية الطب، دكتوراة طب.

٥٦. أ. د. عبد السميع الجنابي، الجامعة المستنصرية، عميد كلية العلوم، اغتيل طعنًا بالسكين عندما بدأ بتطبيق قرار وزارة التعليم العالي بمنع استخدام الجامعات منابر للمظاهر الطائفية.

٥٧. أ. د. عباس العطار، جامعة بغداد، دكتوراة علوم إنسانية.

٥٨. أ. د. باسم المدرس، جامعة بغداد، دكتوراة علوم إنسانية.

٥٩. أ. د. محيي حسين، الجامعة التكنولوجية، دكتوراة هندسة ديناميكية.

٦٠. أ. د. مهند عباس خضير، الجامعة التكنولوجية، اختصاص هندسة ميكانيك.

٦١. أ. د. خالد شريدة، جامعة البصرة، كلية الهندسة، دكتوراة هندسة.

٦٢. أ. د. عبد الله الفضل، جامعة البصرة، كلية العلوم، اختصاص كيمياء.

٦٣. أ. د. محمد فلاح الدليمي، الجامعة المستنصرية، معاون عميد كلية العلوم، دكتوراة فيزياء.

٦٤. أ. د. باسل الكرخي، جامعة بغداد، كلية العلوم، اختصاص كيمياء.

٦٥. أ. د. جمهوركريم خماس الزرغني، رئيس قسم اللغة العربية / كلية الآداب/جامعة البصرة، وهو أحد النقاد المعروفين على الصعيد الثقافي في البصرة، خطف يوم ٢٠٠٥/٧/٧، وجدت جثته في منطقة القبلة الواقعة على بعد ٣ كلم جنوب مركز البصرة.

٦٦. أ. د. زكي ذاكر العاني، الجامعة المستنصرية، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، اغتيل أمام بوابة الجامعة المستنصرية يوم ٢٠٠٥/٨/٢٦

٦٧. أ. د. هاشم عبد الكريم، الجامعة المستنصرية، كلية التربية، اغتيل أمام بوابة الجامعة المستنصرية يوم ٢٠٠٥/٨/٢٦ .

٦٨. أ. د. ناصر أمير العبيدي، جامعة بغداد.

٦٩. أ. د. نافع عبود، اختصاص أدب عربي، جامعة بغداد.

٧٠. أ. د. مروان الراوي، اختصاص هندسة، جامعة بغداد.

٧١. أ. د. أمير مزهر الدايني، اختصاص هندسة الاتصالات.

٧٢. أ. د. عصام سعيد عبد الكريم، خبير جيولوجي، في وزارة الإسكان، يعمل في المركز الوطني للمختبرات الإنشائية، خطف يوم ٢٠٠٤/٩/٢٨ واغتيل يوم ٢٠٠٤/١٠/١ .

٧٣. أ. د. حكيم مالك الزيدي، جامعة القادسية، كلية الآداب، قسم اللغة العربية.

٧٤. أ. رافي سركسيان فانكان، ماجستير لغة إنكليزية، مدرس في كلية التربية للبنات، جامعة بغداد.

٧٥. أ. د. نافعة حمود خلف، جامعة بغداد، كلية الآداب، اختصاص لغة عربية.

٧٦. أ. د. سعدي أحمد زيدان الفهداوي، جامعة بغداد، كلية العلوم الإسلامية.

٧٧. أ. د. سعدي داغر مرعب، جامعة بغداد، كلية الآداب.

٧٨. أ. د. زكي جابر لفتة السعدي، جامعة بغداد، كلية الطب البيطري.

٧٩. ا.خليل إسماعيل عبد الداهري، جامعة بغداد، كلية التربية الرياضية.

٨٠. أ. د. محمد نجيب القيسي، الجامعة المستنصرية، قسم البحوث.

٨١. أ. د. سمير يلدا جرجيس، الجامعة المستنصرية، معاون عميد كلية الإدارة والاقتصاد، خطف من أمام بوابة الجامعة

المستنصرية في آب ٢٠٠٥ ووجدت جثته ملقاة في أحد الشوارع يوم ٢٠٠٥/٨/٢٥.

٨٢. أ. د. قحطان كاظم حاتم، الجامعة التكنولوجية، كلية الهندسة.

٨٣. أ. د. محمد الدليمي، جامعة الموصل، كلية الهندسة، اختصاص هندسة ميكانيكية.

٨٤. أ. د. خالد فيصل حامد شيخو، جامعة الموصل، كلية التربية الرياضية.

٨٥. أ. د. محمد يونس ذنون، جامعة الموصل، كلية التربية الرياضية.

٨٦. أ. د. إيمان عبد المنعم يونس، جامعة الموصل، كلية الآداب.

٨٧. أ. د. غضب جابر عطار، جامعة البصرة، كلية الهندسة

٨٨. أ. د. كفاية حسين صالح، جامعة البصرة، مدرسة في كلية التربية.

٨٩. أ. د. علي غالب عبد علي، جامعة البصرة، كلية الهندسة.

٩٠. أ. د. محفوظ محمد حسن القزاز، كلية التربية / قسم العلوم التربوية والنفسية/ جامعة الموصل، بتاريخ ٢٠٠٤/١٢/٢٥، لقي مصرعه إثر إطلاق نار عشوائي من قبل القوات المحتلة الأميركية قرب جامع الدكتور أسامة كشمولة في محافظة نينوى.

٩١. أ. د. فضل موسى حسين، جامعة تكريت، كلية التربية الرياضية.

٩٢. أ. د. محمود إبراهيم حسين، جامعة تكريت، كلية التربية.

٩٣. أ. د. أحمد عبد الهادي الراوي، جامعة الأنبار، كلية الزراعة.

٩٤. أ. د. شاكر محمود جاسم، جامعة الأنبار، كلية الزراعة.

٩٥. أ. د. عبد الكريم مخلف صالح، جامعة الأنبار، كلية الآداب/ قسم اللغة العربية.

٩٦. أ. د. محمد عبد الحسين واحد، معهد الإدارة الفني - بغداد.

٩٧. أ. د. أمير إبراهيم حمزة، معهد بحوث السرطان، هيئة المعاهد الفنية.

٩٨. أ. د. محمد صالح مهدي، معهد بحوث السرطان، هيئة المعاهد الفنية.

٩٩. أ. د. سعد ياسين الأنصاري، جامعة بغداد.

١٠٠. أ. د. سعد الربيعي، جامعة البصرة، كلية العلوم، اختصاص علوم بيولوجية.

١٠١. أ. د. نوفل أحمد، جامعة بغداد، كلية الفنون الجميلة.

١٠٢. أ. د. محسن سليمان العجيلي، جامعة بابل، كلية الزراعة.

١٠٣. أ. د. ناصر عبد الكريم مخلف الدليمي، جامعة الأنبار.

١٠٤. أ. د. حامد فيصل عنتر، جامعة الأنبار، كلية التربية الرياضية.

١٠٥. أ. د. عبد المجيد حامد الكربولي، جامعة الأنبار.

١٠٦. أ. د. غائب الهيتي، جامعة بغداد، أستاذ في الهندسة الكيمياوية، اغتيل في آذار ٢٠٠٤.

١٠٧. الدكتور اللواء سنان عبد الجبار أبوكلل، جامعة البكر للدراسات العليا، استشهد في سجن أبو غريب عام ٢٠٠٤.

١٠٨. د. علي جابك المالكي، اختصاص محاسبة، منتسب إلى وزارة المالية، مديرية الضريبة العامة، اغتيل عام ٢٠٠٤.

١٠٩. أ. عاشور عودة الربيعي، ماجستير جغرافية بشرية-جامعة ميتشيجن الأميركية، شغل موقع مدير مركز الدراسات والبحوث / المنصور، اغتيل في منطقة العامرية عام ٢٠٠٤ .

١١٠. أ.د. كاظم طلال حسين، معاون عميد كلية التربية الأساسية، الجامعة المستنصرية،اغتيل يوم الجمعة ٢٠٠٥/١١/٢٥ في منطقة الصليخ مع ٣ من مرافقيه.

١١١. أ. د. مجبل الشيخ عيسى الجبوري، عضو لجنة كتابة الدستور، اغتيل يوم ٢٠٠٥/٧/١٩ في بغداد.

١١٢. أ. د. ضامن حسين عليوي العبيدي، عميد كلية الحقوق، جامعة صلاح الدين، عضو لجنة كتابة الدستور، قتل يوم ٢٠٠٥/٧/١٩ في بغداد.

١١٣. أ. د. أسامة يوسف كشمولة، جامعة الموصل، كلية الزراعة، دكتوراة زراعة، عين محافظًا للموصل يوم ٢٠٠٥/٤/٥

وجرى تشييعه يوم ٢٠٠٤/٧/١٤ .

١١٤. أ.د. علي مهاوش، عميد كلية الهندسة-الجامعة المستنصرية، اغتيل يوم ٢٠٠٦/٣/١٣ .

١١٥. د.كاظم بطين الحياني، أستاذ علم النفس، كلية الآداب، الجامعة المستنصرية، اقتيد من قبل عناصر تابعة لأحد الأحزاب الدينية، بتاريخ ٢٠٠٦/٣/٣ وجدت جثته في مشرحة الطب العدلي وعليها آثار التعذيب، سبق أن شغل منصب محافظ القادسية حتى عام ١٩٩١.

١١٦. أ. د. صلاح عزيز هاشم، المعهد الفني - محافظة البصرة، اغتيل أمام المعهد يوم ٢٠٠٦/٤/٥.

١١٧. أ. د. عبد الكريم حسين، جامعة البصرة، كلية الزراعة، اغتيل يوم ٢٠٠٦/٤/١١

١١٨. المهندس حسين علي إبراهيم الكرباسي، الجامعة التقنية – بغداد – الزعفرانية، اختصاص قسم المساحة اغتيل يوم ٢٠٠٦/٤/١٦ في منطقة العامرية.

١١٩. أ. د. عبد الستار الأسدي، معاون عميد كلية التربية، جامعة ديالى، اغتيل يوم ٢٠٠٦/٤/١٩ مع (٣) من الأساتذة.

١٢٠. أ. د. سلام حسين المهداوي، كلية التربية، جامعة ديالى، اغتيل يوم ٢٠٠٦/٤/١٩ .

١٢١. أ. د. مشحن حردان مظلوم العلواني، جامعة ديالى، اغتيل يوم ٢٠٠٦/٤/١٩ .

١٢٢. أ. د. ميس غانم، قسم اللغة الإنكليزية، جامعة ديالى، زوجة الدكتور مشحن حردان العلواني، اغتيلت يوم ٢٠٠٦/٤/١٩.

١٢٣. أ. د. عبد الستار جبار، جامعة ديالى، كلية الطب البيطري، اغتيل يوم ٢٠٠٦/٤/٢٢ .

١٢٤. أ. د. مهند الدليمي، جامعة بغداد- كلية الهندسة، اغتيل عام ٢٠٠٤ .

١٢٥. أ. د. حسن الربيعي، عميد كلية طب الأسنان- جامعة بغداد، اغتيل يوم ٢٠٠٤/١٢/٢٥ عندما كان يقود سيارته وبصحبته زوجته.

١٢٦. أ. د. أنمار التك، كلية الطب / جامعة الموصل، أحد أشهر أطباء العيون في العراق، حاصل على درجة بروفيسور، اغتيل في شهر تشرين أول ٢٠٠٤.

١٢٧. أ. د. المهندس محيي حسين، اختصاص هندسة طائرات / جامعة بغداد، اغتيل منتصف عام ٢٠٠٤

١٢٨. أ. د. فيضي محمد الفيضي، جامعة الموصل، عضو هيئة علماء المسلمين في الموصل، اغتيل أمام داره في منطقة المثنى بالموصل بتاريخ ٢٠٠٤/١١/٢٢، خريج كلية الشريعة عام ١٩٨٥، حاصل على الدكتوراة نهاية التسعينات.

١٢٩. الدكتور العميد منذر البياتي، (طبيب) اغتيل أمام داره في السيدية يوم ٢٠٠٥/٦/١٨ .

١٣٠. الدكتور العميد صادق العبادي، (طبيب) اغتيل يوم ٢٠٠٤/٩/١ في منطقة الشعب في بغداد عند دخوله المجمع الطبي الذي شيده لتقديم الخدمات الطبية وبأسعار رمزية.

١٣١. الدكتور عامر محمد الملاح، رئيس قسم الجراحة في المستشفى الجمهوري التعليمي، اغتيل قرب داره يوم ٢٠٠٤/١٠/٣ .

١٣٢. الدكتور رضا أمين، معاون فني في مستشفى كركوك التعليمي، اغتيل يوم ٢٠٠٥/٨/١٥ في كركوك.

١٣٣. الدكتور عبد الله صاحب يونس، مدير مستشفى النعمان التعليمي في الأعظمية، اغتيل يوم ٢٠٠٥/٥/١٨ .

١٣٤. أ. إبراهيم إسماعيل، مدير عام تربية كركوك، اغتيل يوم ٢٠٠٤/٨/٣٠ عندما كان متوجها إلى المعهد التكنولوجي جنوب كركوك.

١٣٥. أ.راجح الرمضاني، مشرف تربوي اختصاص، اغتيل بتاريخ ٢٠٠٤/٩/٢٩ عند خروجه من جامع (ذياب العراقي) في محافظة نينوى.

١٣٦. أ. د. جاسم محمد العيساوي، أستاذ في كلية العلوم السياسية/ جامعة بغداد، عضو في هيئة تحرير صحيفة (السيادة) اليومية، أحد الأعضاء المفاوضين مع لجنة صياغة الدستور، اغتيل يوم ٢٠٠٥/٦/٢٢ في مدينة الشعلة في بغداد وعمره (٦١) عامًا.

١٣٧. الدكتور المهندس عبد الستار صابر الخزرجي، كلية الهندسة/ جامعة بغداد، اغتيل يوم ٢٠٠٥/٦/٢١ وهو من سكنة مدينة الحرية في بغداد.

١٣٨. أ. د. حيدر البعاج، مدير المستشفى التعليمي في البصرة.

١٣٩. أ. د. عالم عبد الحميد، عميد كلية الطب، جامعة البصرة.

١٤٠. أ. د. محمد عبد الرحيم العاني، أستاذ في كلية القانون/ الجامعة المستنصرية، وهو طالب دكتوراة في كلية العلوم الإسلامية / جامعة بغداد، عضو هيئة علماء المسلمين، اعتقل يوم ٢٠٠٦/٤/٢٧ من أمام جامع الفاروق القريب من شارع فلسطين في بغداد من قبل عناصر وزارة الداخلية، وجدت جثته في مشرحة الطب العدلي في بغداد يوم ٢٠٠٦/٥/٢.

١٤١. أ.د. أحمد الكبيسي: اغتالته القوات الأمريكية في الرمادي عندما كان يقود سيارته.

١٤٢. أ.د. نبيل عبد الكريم الحجازي الذي استشهد على يد القوات الأمريكية بتاريخ ٢٠٠٦ /٥/١٨ عندما خرج بسيارته إلى العيادة، وهو الأستاذ الكبير في العيون الذي تخرج على يده عشرات الأساتذة من الأطباء.

الفهرس

المقدمة..... ٥

خبير الذرة..... ٧

دماء في الغربة..... ٢٩

آينشتاين العرب..... ٥٧

علم يقتل صاحبه..... ٨٨

جمال الجغرافيا..... ٧٩

علوم وعلماء..... ١٢٠

نبيل..... ١٢٣

عالم كهرباء..... ١٢٥

عربي كاد أن يحكم فرنسا..... ١٣٣

عبير الطب..... ١٣٧

قلبت موازين عمليات الجراحة فقتلوها..... ١٤٠

اغتيال فكر..... ١٤٦

مهندس مدني..... ١٤٨

عالم من فلسطين..... ١٥٤

قائمة بالعلماء والأكاديميين العراقيين الذين طالتهم أيادي الغدر..... ١٥٥